الأوضاع الاجتماعية ليهود إسبانيا خلال القرن (15 م) من خلال كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع" أنموذجا

مصطفى مصطفى أبوعتمان رجب

قسم اللغة العبرية وآدابها، كلية اللغات والترجمة

جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية

MostafaRagab.e20@azhar.edu.eg

المستخلص :

مما لا شك فيه أن حياة اليهود الاجتماعية في إسبانيا المسيحية خلال القرن الخامس عشر قد مرت بالكثير من المؤثرات والمتغيرات، ولا شك أيضا أنها قد انعكست في أعمال أدباء العصر ومفكريه، والذين تفاعلوا مع تلك المتغيرات والمؤثرات، واستوعبوها في انتاجاتهم الأدبية والفكرية. ويعد كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا أحد تلك الانتاجات الأدبية والفكرية والتي استوعبت بداخلها تلك المؤثرات. حيث سعى شلومو بن فرجا في "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع" إلى استقصاء العوامل المؤثرة في حياة يهود إسبانيا المسيحية، والتي أدت إلى طردهم في النهاية من هناك. والتي جاء من بينها كراهية عامة الشعب لليهود وذلك بسبب الإقراض بالربا، وسلب أموال الشعب وأراضيه، الأمر الذي رسخ في ذهن العامة بأن اليهودي هو المستفيد الأول من بؤس الشعب. كما جاء من بينها أيضا تكبر اليهود، ونظرتهم الدونية لعامة الشعب. وكذلك تقربهم من الملوك، ومحاولة الاستفادة من هذا الوضع بقدر المستطاع. وكذلك الروح اليهودية العنصرية، والإدعاء بأنهم من الملوك، ونقاء العرق اليهودي، وهو الأمر الذي أدى إلى مزيد من كراهية اليهود. وبالتالي أدى إلى طردهم من إسبانيا 1492.

الكلمات المفتاحية: اليهود، إسبانيا المسيحية، الطرد من إسبانيا، الأدب العبري

Abstract:

The social conditions of the Jews of Spain during the fifteenth century through the book “Scepter of Judah” by Ibn Ferga, “The Seventh Persecution” as an example

There is no doubt that the social life of the Jews in Christian Spain during the fifteenth century went through many influences and changes, and there is also no doubt that they were reflected in the works of the era’s writers and thinkers, who interacted with these changes and influences and absorbed them in their literary and intellectual productions. The book “Scepter of Judah” by Shlomo Ben Ferga is one of those literary and intellectual productions that absorbed these influences within it. In the Seventh Persecution, Shlomo Ben Verga sought to investigate the factors affecting the Christian life of the Jews of Spain, which ultimately led to their expulsion from Spain. Among them was the general public’s hatred of the Jews due to usury lending and the theft of the people’s money and lands, which cemented in the public’s mind that the Jew was the primary beneficiary of the people’s misery. It also included the arrogance of the Jews. As well as bringing them closer to the kings, and trying to benefit from this situation as much as possible. As well as the racist Jewish spirit, the claim that they are kings, and the purity of the Jewish race, which led to more hatred of Jews. Thus leading to their expulsion from Spain in 1492.

Keywords: Jews, Christian Spain, expulsion from Spain, Hebrew literature

المقدمة

مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي انتقل مركز اليهود الاقتصادي والحضاري من الجنوب المسلم إلى الشمال المسيحي، نتيجة لأسباب كثيرة، كان أبرزها تقدم الممالك المسيحية الكاثوليكية في حروبها ضد المسلمين. إذ تُشير المصادر[1] إلى أن هذه الممالك، قد سعت إلى الاستفادة من هؤلاء اليهود، والاستعانة بخبراتهم السياسية والاقتصادية والعلمية والإدارية التي اكتسبوها سابقا، من خلال احتكاكهم بالثقافة العبرية الإسلامية في الأندلس.

كما تُشير المصادر أيضًا إلى أن السنوات الأولى لليهود في إسبانيا المسيحية كانت سنوات ازدهار ورخاء، ولكن سرعان ما تعقدت الظروف وتشابكت الأحوال[2]، بداية من حوادث 1391م[3] مرورا بمناظرة طرطوسة 1413م[4]، وذلك لأسباب كانت في الغالب متعلقة بالشخصية اليهودية ذاتها، مثل الميل إلى العزلة وعدم الاختلاط، والتكبر والتعالي على عامة الشعب، والتعامل بالربا، وحب السلطة والسيادة. وقد كانت هذه العوامل كفيلة لخلق توترات شديدة بين اليهود وبين المسيحيين الكاثوليك، خصوصا عامة الشعب ورجال الدين.

أما بالنسبة للملوك فقد كانت هناك علاقة خاصة تربط بين الملوك واليهود، تمثلت في كون اليهود "عبيد الملك" أو "عبيد الخزانة الملكية"، ولذلك فإنهم تمتعوا بحمايتهم ورعايتهم. ونتيجة لهذا الوضع المتشابك، والمعقد،

---

(1) ينظر على سبيل المثال: איגוס, אברהם יצחק: דברי ימי ישראל, ההסתדרות הציונית העולמית, המחלקה לחנוך, ירושלים, תשכ"ז, חלק 2, עמ' 242.

(2) ينظر: שם, עמ' 243 ואילך.

(3) حوادث 1931م "פרעות קנ"א" والتي يُطلق عليها في بعض الأحيان "גזירות קנ"א" "مذبحة 1391" هي مجموعة الحوادث التي تم ممارستها من قبل السلطات الكاثوليكية ضد اليهود، بتحريض من بعض الأساقفة المتعصبين، والتي كان من بين نتائجها تنصر أعداد كبيرة من اليهود طوعا أو كرها، من أبناء الطبقة العليا من الطائفة اليهودية؛ خصوصا طبقات العلماء والتجار والأطباء. ولمزيد من التفصيل في هذا الصدد ينظر: בער, יצחק: תולדות היהודים בספרד הנוצרית, הוצאת עם עובד, הדפסה שלישית, 1986, עמ' 284, 285.

(4) مناظرة طرطوسة"וויכוח טורטוסה": هي من أبرز وأكبر المناظرات التي دارت بين اليهود وبين الرهبان الكاثوليك في إسبانيا المسيحية في العصور الوسطى، في مدينة طرطوسة، واستمرت حوالي سنتين (1413 _ 1414م). وقد اشترك في هذه المناظرة من الجانب اليهود عدد من كبار حاخامات اليهود، أمثال الحاخام بروفياط دوران، ومنتيا هيتسهاري، ويوسف ألبو، وموشي عباس، واستروك هاليفي وآخرون. وقد تركزت المناظرة من الجانب المسيحي حول حقيقة "المسيح"، وأنه قد جاء، وإثبات ذلك من التلمود نفسه. لمزيد من التفصيل في هذا الصدد ينظر: בער, יצחק: תולדות היהודים בספרד הנוצרית, עמ' 326.
وينظر أيضا: • גרץ, צבי: דברי ימי ישראל, תרגום א. בן-אורי, בעריכת פ. לחובר, כרך חמישי, הוצאת יזרעאל, תל-אביב, מהדורה מיוחדת לקוראי מעריב, תשט"ו, עמ'19.

فقد أخذ العامة ورجال الدين على عاتقهم البحث عن بعض التهم، ليلصقونها باليهود، إما لطردهم من المملكة، وإما للتخلص منهم، والقضاء المبرم عليهم.

ورغم تنصر أعداد كثيرة من اليهود طوال هذه الفترة كحلٍّ للوضع المتأزم، إلا أن الأوضاع بقيت متوترة على هذا النحو خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وطوال القرن الخامس عشر، إلى أن انتهت بطرد اليهود من إسبانيا سنة 1492م.

وقد عايش "شلومو بن فرجا" بعض الأحداث التي سبقت الطرد، وتأثر بها، ويُذكر أيضا أنه تنصر فترة من الزمن، ثم عاد إلى اليهودية بعد نزوحه إلى إيطاليا، بعد الطرد. ولا شك أنه قد تأثر كثيرا بمشاهد الطرد، والتي تركت في نفسه أثرا عميقا؛ مما دفعه لأن يجلس بعدها بحوالي عشر سنوات في إيطاليا، ويقوم باستقصاء أوضاع اليهود الاجتماعية في إسبانيا المسيحية، والتي أدت بهم في النهاية إلى الطرد منها نهائيا.

كما دفعته أيضًا لأن يقوم باستقصاء ظاهرة "שנאת היהודים" "كراهية اليهود"، وهي التي سيتم تعريفها لاحقا في العصر الحديث بـ "معاداة السامية"، والأسباب التي أدت إلى هذه الكراهية، والوصول إلى أنها كانت في الغالب الأعم متعلقة بالشخصية اليهودية نفسها. كما أنه يقوم ببحث واستقصاء الإضطهادات والمذابح التي تعرض لها اليهود منذ بداية تاريخهم وصولا إلى الطرد من الأندلس.

حدود الدراسة:

تركز هذه الدراسة على دراسة أوضاع اليهود الاجتماعية خلال القرن الخامس عشر، وذلك من خلال "השמד השבעי" "الاضطهادالسابع" من كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا؛ والذي يقدّم فيه وصفا دقيقا مفصلا لأوضاع اليهود الاجتماعية خلال هذا القرن، وهي نفسها الأوضاع التي أدت إلى كراهية اليهود، وبالتالي إلى طردهم تماما من إسبانيا سنة 1492م.

تساؤلات الدراسة:

تجيب هذه الدراسة على عدة تساؤلات؛ وهي:

1_ إلى أي مدى انعكست أوضاع يهود إسبانيا المسيحية الاجتماعية وفقا لابن فرجا؟

2_ ما الأسباب التي أدت إلى كراهية الشعب ورجال الدين لليهود في إسبانيا المسيحية، وفقا لابن فرجا؟

3_ ما أبرز الإتهامات التي سعى عامة الشعب ورجال الدين لإلصاقها باليهود للتخلص منهم، وفقا لابن فرجا؟

4_ إلى أي مدى وصلت طبيعة العلاقة الخاصة بين ملوك الممالك الكاثوليكية واليهود، وفقا لابن فرجا؟

5. إلى أي مدى أسهمت الشخصية اليهودية ذاتها في تأجيج نار العداوة والكراهية تجاهها، وفقا لابن فرجا؟

منهج الدراسة:

تنطلق هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لرصد الظروف والأحوال الاجتماعية ليهود إسبانيا المسيحية قبل الطرد من الأندلس، والأسباب التي أدت إلى ذلك، وكذلك الأسباب التي أدت إلى كراهية اليهود؛ وذلك من خلال "השמד השביעי" "الاضطهاد السابع" من كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا.

الدراسات السابقة:

تكاد تخلوا المكتبة العربية من الدراسات التي تتناول كتاب "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا، غير أنه تجدر الإشارة إلى بعض الدراسات العبرية، مثل:

1_ פ. י. בער, הערות חדשות לספר שבט יהודה, המכון למדעי היהדות ע"ש מנדל, תרביץ, חוברת ב, כרך ו, תרצ"ה.

يقدم فيه بيير بعض الملاحظات الخاصة حول كتاب "صولجان يهودا"، وعلى رأسها مسألة تأثره ببعض المصادر الأجنبية، وعلى وجه الخصوص الإسبانية، وأن ابن فرجا لم يكن أصيلا إلى هذا الحد.

2_ גרמי כהן, טורטוסה במבט לאחור: תיאור הוויכוח בספר "שבט יהודה" לר' שלמה אבן וירגה, החברה ההיסטורית הישראלית, חוברת ד, 2011.

وتتناول فيه الباحثة مناظرة طرطوسة من وجهة نظر ابن فرجا، وكيفما وردت في كتابه "صولجان يهودا" مقارنة ببعض الوثائق الأخرى اللاتينية والعبرية، والتي تعود إلى زمن المناظرة.

الإطار التنظيري للدراسة:

تقع هذه الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة، وتتناول حدود الدراسة، والتساؤلات التي تجيب عنها، والمنهج المتبع فيها.

تمهيد: يهودا بن فرجا وكتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" .

المبحث الأول: عرض كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا".

المبحث الثاني: الإطار القصصي لـ "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع".

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية ليهود إسبانيا المسيحية من خلال "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع"

المطلب الأول: إلصاق "فرية الدم" باليهود.

المطلب الثاني: كراهية عامة الشعب لليهود وأسبابها.

المطلب الثالث: اليهود "عبيد الملك" و "عبيد الخزانة الملكية".

المطلب الرابع: اليهود هم الذين جلبوا الشر على أنفسهم.

المطلب الخامس: النزعة العنصرية لدى اليهود.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

قائمة المصار العربية والعبرية، مرتبة ترتيبا أبجديا.

التمهيد:

شلومو بن فرجا שלמה אבן וירגה وكتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"

ويتناول هذا التمهيد حياة شلومو بن فرجا وإشكالية تأليف كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"، وإشكالية انتمائه.

أولا: شلومو بن فرجا "שלמה אבן וירגה":

هو حاخام وطبيب إسباني، يُنسب إلى إحدى العائلات القديمة والمعروفة في إسبانيا، وهي عائلة "אבן וירגה" "ابن فرجا"؛ عاش في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر. ولا يُعرف على وجه التحديد متى ولد ومتى مات. ولكن فيما يبدو أنه كان من الشخصيات اليهودية المرموقة في زمانه، ويُفهم هذا من اختيار الطوائف اليهودية له كمبعوث من قبلها، لجمع الأموال اللازمة لافتداء أسرى مدينة "ملقة"، بعد سقوطها في يد الملوك الكاثوليك[1].

[1] ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, הוצאת האחים לוין–אפשטין ושות' בע"ט, ירושלים, תשט"ו, עמ' עפח. وينظر أيضا: מרגליות, מרדכי (עורך כללי), "שלמה אבן וירגה", אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, תל אביב: י' צ'צ'יק, תש"ו, עמ' 1278.

كانت تربط شلومو بن فرجا "שלמה אבן וירגה" علاقة صداقة ببعض الشخصيات البارزة في عصره، والذين خلد ذكرهم في كتابه؛ أمثال: الحاخام يهودا بن فرجا[1]؛ والذي يذكر أنه نقل عنه الكتاب؛ وابن دون أبرهام بنبنستي[2]، دون فيدال بن بنبنستي[3]، رئيس المتحدثين (المُتَخيلين) في مناظرة طرطوسة، وغيرهم[4].

كان ابن فرجا من بين اليهود الذين طُردوا من إسبانيا، واتجه نحو البرتغال؛ وهناك اعتنق المسيحية[5]، وحينما سُمح للمتنصرين بالخروج من البرتغال سنة 1506م؛ اتجه إلى إيطاليا؛ حيث عاد إلى اليهودية، وأمضى هناك بقية حياته. وهناك أيضًا ألف كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"؛ وذلك بعد عشرين سنة من الطرد من إسبانيا[6].

---

[1] يهودا بن فرجا "יהודה אבן וירגה": متصوف وفلكي يهودي، ولد في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي في إشبيليه. وحينما تم اتهام الطائفة اليهودية في شريش، بأنهم قد دفنوا متنصرا في قبور اليهود، وتعرضوا أنذاك لخطر شديد، فإنهم توجهوا إلى الحاخام يهودا بن فرجا، والذي نقض التهمة. وقد حذر الحاخام يهودا بن فرجا متنصري إشبيليه، من خطر محاكم التفتيش، حتى قبل تشكيلها، ونصحهم بالهرب. وأثناء الطرد من الأندلس سنة 1483 انتقل إلى قشتالة. ومع الطرد العام سنة 1492م هرب إلى البرتغال وعاش في لشبونه، والتي عاش فيها مات في سبيل الرب على يد محاكم التفتيش. ينظر: לבנון, אברהם: תולדור "תולדות עם ישראל ואומות העולם", ימי היהודים בספרד, 700 _ 1500, גליון ו, ירושלים, תשנ"ב, עמ' 103.

[2] "أبرهام بنبنستي" "אברהם בנבנשתי": من كبار اليهود وأيرائهم في مملكة قشتالة، في زمن الملك خوان الثاني (1406 _ 1454م)، ويُذكر في الوثائق الملكية بداية من سنة 1420م وما بعدها. وقد ألقى الملك الصغير عبأ قيادة المملكة على اثنين من النبلاء، وهما اللذان ألقيا على أبرهام بنبنستي مسؤلية غسيل الأموال. وقد احتكر الضرائب والمكوس في شتى أنحاء المملكة، كما كان مسؤلا عن تنظيم جباية الضرائب، بمساعدة جهاز من جامعي الضرائب المساعدين، والذين كانوا في معظمهم من اليهود. كما كان مسؤلا عن توفير الطعام والغذاء للجيش الذي كان يخيم على حدود الأندلس. ينظر: לבנון, אברהם: תולדור "תולדות עם ישראל ואומות העולם", עמ' 25.

[3] فيدال (يوسف) بن بنبنستي بن شلومو بنبنستي "וידל יוסף בן ב' בן שלמה בנבנשתי": نشط في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي وبداية القرن الخامس عشر الميلادي في مدينة سرقسطة في إسبانيا. وكان من بين المشاركين في مناظرة طرطوسة بين سنتي 1413 _ 1414 ثم تنصر بعد ذلك. كان شاعرا عبريا، وقد تعلم نظم الشعر على يد الشاعر الكبير شلومو دافييرا. واستحدث أسلوبا هجائيا شعريا خاصا به كان بمثابة تجديد في عصره. وقد نظم حكاية عن شيخ اشتهى فتاة صغيرة بعنوان "عوفر ودينا". ينظر: לבנון, אברהם: תולדור "תולדות עם ישראל ואומות העולם", עמ' 93

[4] בער, פ. י.: הערות חדשות לס' שבט יהודה, תרביץ, כרך ו, תרצ"ה, עמ' 188.

[5] ينظر: כהן, גרמי: טורטוסה במבט לאחור: תיאור הוויכוח בספר "שבט יהודה" לר' שלמה אבן וירגה, החברה ההיסטורית הישראלית, חוברת ד, 2011.

[6] מרגליות, מרדכי (עורך כללי), "שלמה אבן וירגה", אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל , עמ' 1278.

وأما فيما يتعلق باسم أبيه؛ فلا يُعرف على وجه اليقين؛ وإن كان هناك من يعتقد أن الحاخام "יהודה אבן וירגה" "يهودا بن فرجا"، الذي يتردد ذكره في كتابه "صولجان يهودا" مرارا وتكرارا، هو والده؛ ولكن يبقى هذا الرأي مجرد افتراض وتخمين؛ ولكنه افتراض قائم على أساس أن يهودا بن فرجا هو في واقع الأمر جد شلومو لأبيه.

ثانيًا: إشكالية تأليف ""שבט יהודה" صولجان يهودا":

يذكر ابن فرجا في مستهل كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"، أن هذا الكتاب ليس من تأليفه، وأنه وجده مكتوبا في نهاية كتاب ليهود بن فرجا المذكور آنفا، وأنه مجرد ناقل لما فيه فقط؛ حيث يقول:

"אמר שלמה בן וירגה זכרונו לברכה: בסוף ספר אשר חבר אדוני החכם הגדול דון יהודה בן וירגה זכרונו לברכה מצאתי כתוב קצת שמדות וגזרות אשר עברו על ישראל בארץ נכריה"[1].

"قال شلومو بن فرجا: وجدتُ في نهاية كتاب من تأليف سيدي الحاخام الأكبر يهودا بن فرجا وجدت مكتوبا بعض المذابح والاضطهادات التي مرّت على بني إسرائيل في البلدان الأجنبية.

ويفترض "يوسف دان" أن ابن فرجا قد اعتمد بالفعل على كتابات "يهودا"، ولكنه يعود ويؤكد أن الكتاب نفسه، لابد وأن يكون من إبداع قريحة شلومو، وأنه استعار اسم "يهودا بن فرجا" ليتخفى ورائه، وليخفي حقيقة أنه هو نفسه مؤلف الكتاب، مع أن الكتابة تحت أسماء مستعارة لم تظهر في الأدب العبري إلا فيما بعد[2].

ويرى "دان" أن ذلك راجع إلى أن الكتاب، يحمل بداخله بعض الأفكار، التي جعلت ابن فرجا يتردد في عرضها مباشرة على الجمهور اليهودي باسمه الصريح؛ وتتمثل هذه الأفكار في أن "تصرفات اليهود أنفسهم كانت هي السبب في النكبات التي أصابتهم، جنبا إلى جنب تكبرهم وعنصريتهم وعزلتهم وسلب الأموال بالربا والفائدة... بالإضافة إلى ذلك هناك إشارات إلى اتهام التلمود، الأمر الذي يمكن تفسيره بأنه لولا التلمود لكان اليهود يحظون باحترام الشعوب الأخرى"[3].

وربما صدق "يوسف دان" فيما ذهب إليه، بيد أن الكتابة تحت اسم مستعار قد بدأت في فترة سابقة، وليست لاحقة كما قال؛ فمع بداية النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ونتيجة لأوضاع الطوائف اليهودية الآخذة في الانحطاط والتردي في الممالك المسيحية الكاثوليكية، بدأت الكتابة الرمزية، والكتابة تحت أسماء مجهولة أو مستعارة في الظهور.

---

[1] אבן וירגא, שלמה: ספר שבט יהודה, הוצאת האחים לוין, עמ' א.

[2] דן , יוסף: הסיפור העברי בימי הביניים עיונים בתולדותיו, בית הוצאה כתר ירושלים בע"מ, 1974, עמ' 189.

[3] שם, עמ' 190.

ولدينا نماذج كثيرة على الكتابات الرمزية مجهولة المؤلف في تلك الفترة، أو قبلها بقليل، مثل مقامة "בגידת הזמן" "غدر الزمان"؛ والتي تُنسب لشخص مجهول يُدعى متتيا؛ ولكن لا أحد يعرف من متتيا هذا، فهو نكرة مجهولة؛ ومن المرجّح أنّه اسم مستعار، اختاره صاحبه، ليستطيع أن يقول تحته ما يريد؛ خاصة وأنه يتناول أوضاع اليهود في إسبانيا المسيحية، ولكن بشكل رمزي. وهناك أيضا مقال "משפטי יהוה אמת צדקו יחדיו" "أحكام الرب عادلة كلها" لشلومو العمي، الذي أحصى فيه الأسباب التي أدت إلى تدهور أحوال اليهود في إسبانيا المسيحية، والتي ردّها كلها إلى سلوكيات اليهود أنفسهم، داخل المجتمعات المسيحية في إسبانيا، وأنهم كانوا هم أنفسهم السبب المباشر فيما تعرضوا له هناك من نبذٍ واضطهادٍ.

كما أن هناك نقاط أخرى يشترك فيها "שבט יהודה" "صولجان يهودا"مع هذا النوع من المؤلفات؛ منها مثلا الدافع المحرك للتأليف؛ حيث كان يحاول هذا النوع من المؤلفات، الوقوف على الأسباب التي أدت إلى تردي أحوال اليهود في إسبانيا المسيحية؛ كما لم تتحاش هذه المؤلفات، من الربط بين سلوكيات اليهود أنفسهم، وبين تعامل الشعوب التي يعيشون بينها. كما ربطت هذه المؤلفات بين إصلاح هذه السلوكيات، وبين صلاح الأحوال العامة لليهود؛ وهذا ما صرح به ابن فرجا في مقدمة كتابه، حينما قال:

"והעתקתי אותם למען יראו ולמען ישמעו בני ישראל וישובו ויתחננו לבעל הרחמים, יכפר עונותיהם במה שעבר עליהם, ולצרותיהם יאמר די!"[1]

"وقد نقلتها [أي هذه الاضطهادات] لكي يرى ويسمع بنو إسرائيل، ويعودوا ويتوسلوا لصاحب الرحمات أن يغفر ذنبهم، لما ألم بهم، ولما أصابهم من مصائب، ويكف عنهم ".

كما يذكر أيضا أنه قد دعاه باسم "שבט יהודה" "صولجان يهودا"؛ لأنه على حدّ قوله أول من أذنب، ورأى كثيرا من غضب الرب؛ حيث يقول ابن فرجا:

"וקראתי ספר זה שבט יהודה כי הוא המולך ראשונה וראה יותר בעצם שבט עברתו ית' וכן אמר הנביא [ישעיה ג' ח'] כי כשלה ירושלים ויהודה נפל"[2]

"وسميت هذا الكتاب صولجان يهودا لأنه أول من تولى الملك ورأى عصا سخطه تبارك أكثر، وكذلك قال النبي(إشعياء 3 / 8) "لأن أورشليم انحرفت، ويهودا سقط"

---

[1] אבן וירגא, שלמה: ספר שבט יהודה, הוצאת האחים לוין, עמ' קפח.

[2] שם, עמ' א.

بقي أمر واحد، وهو أن ابن فرجا قد مات قبل أن يتمّ الكتاب؛ وقد قام بهذه المهمة من بعده يوسف ابنه؛ والذي أخذ على عاتقه مهمة إكمال ما حذفه والده من النكبات التي مر بها اليهود، أو تلك التي وقعت في زمانه، بعد موت والده. كما أدخل إلى الكتاب قصصا كثيرة من اللاتينية[1].

ثالثا: انتماء الكتاب:

يعد التأريخ العبري أحد الأنواع النثرية التي ازدهرت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، خصوصًا في إيطاليا. ويمكن التمييز في تلك الفترة، بين نوعين من الكتب التاريخية، النوع الأول(مثل "צמח דוד" "غرس داود" لدافيد جانز)[2]: وهو الذي يتمسك بدقة الوصف التاريخي للأحداث، وسردها في شكل متتابع ومتوالٍ؛ أما النوع الثاني(مثل: "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لابن فرجا): وهو الذي لا يلتزم بالدقة التاريخية، ولا يهتم بسرد الأحداث بشكل متوال [3].

وإذا كان النوع الأول، يُعَدّ مادة مهمة للمؤرخين والباحثين في التاريخ اليهودي؛ فإن النوع الثاني يعد مادة خصبة للباحثين في الأدب العبري، وفي التاريخ اليهودي؛ خصوصًا تاريخ اليهود في إسبانيا المسيحية، في القرن الخامس عشر الميلادي، والأسباب التي أدت إلى طردهم من هناك.

ويذكر "يوسف دان" أن الكتاب قد كُتب "في إيطاليا، بعد حوالي جيل واحد من الطرد من إسبانيا، في ثلاثينيات القرن السادس عشر الميلادي تقريبا.. ومن النادر جدا، العثور في الأدب العبري على كتاب يستجيب بشكل مباشر وعميق، إلى هذا الحد، لظاهرة الطرد. ومن الصعب أيضًا، العثور على نموذج آخر لرد فعل، صيغ صياغة أدبية على هذا النحو المركب والمعقد..."[4].

---

[1] אבן וירגא, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' קפט.

[2] دافيد بن شلومو جَانْز "דוד בן שלמה גאנז" (1541 _ 1613م): هو حاخام ألماني، وعالم فلك وجغرافيا ورياضيات ومؤرخ. ويُعدّ من أوائل اليهود الألمان الذين وصلوا إلى مرتبة عالية في هذه العلوم، بتأثير من صهره شموئيل الطبيب. وقد اهتم بالرياضيات والفلك بشكل كبير وكان يراسل كبار علماء عصره، وربطته علاقة صداقة مع يوهانس كيبلر وتايكو براهي. كما اهتم أيضا بالجغرافيا والتاريخ، وتدل مؤلفاته في هذا الصدد على أنه كان على اطلاع واسع بتاريخ بني إسرائيل والتاريخ العام. وقد صنف في التاريخ كتاب "צמח דוד" وهو ينقسم إلى قسمين، القسم الأول هو عبارة عن مختصر لتاريخ بني إسرائيل منذ بداية الخليقة، حتى سنة 1352م. أما القسم الثاني فهو عبارة عن تاريخ الشعوب منذ العصور القديمة وحتى عصره. وقد طبع الكتاب مرات عديدة وترجم إلى اللاتينية واليديشية. ينظر: מרגליות, מרדכי (עורך כללי), אינציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך 2, עמ' 355 _358.

[3] ينظر: קלוזנר, יהודה אריה, הנובילה בספרות העברית מראשיתה עד סוף תקופת–ההשכלה, הוצאת יהושע צ'צ'יק, תל–אביב, עמ' 97.

[4] ينظر: דן, יוסף: הסיפור העברי בימי הביניים, עמ' 188.

أما فيما يتعلق بالشكل الأدبي للكتاب، فيمكن القول بأنه عبارة عن مجموعة قصصية (أو بمعنى أدق: مجموعة من المناظرات)، تتخذ من النكبات والاضطهادات، التي تعرّض لها اليهود، على مر تاريخهم، خلفية لها[1].

وفي هذا الصدد، يقول ف. ي. بيير أن ابن فرجا قد "استعمل الصورة الأدبية الخاصة بالنوفيلا. فمن ناحية قد حذا حذو النوفيلا الإسبانية للملك دون سانشو الرابع وإنفانتي دون خوان مانويل، واللذان حافظا على المضمون الأخلاقي للمثل الدارج على ألسنة المفسرين الدينيين. ومن الناحية الأخرى كانت لديه معرفة بالنوفيلا الإيطالية، الناضجة في شكلها، والسهلة في مضمونها، ومن هناك تلقى فيما يبدو الفكاهة الرمزية، والنقد الديني، الذي يحسّ عنده في كثير من المواضع"[2].

ويضيف "بيير" أن ابن فرجا، مع معرفته بالنوفيلا الإسبانية والإيطالية؛ إلا أنه مع ذلك قد "أنتج نوفيلا يهودية فريدة من نوعها. وفي كتابه قصص رائعة من إبداع قريحته، ولكنه يستبدل النوفيلا الحديثة بقصة تاريخية عتيقة عن المذابح والاضطهادات أو عن ذكريات فترات ازدهار اليهود؛ وقد تتحول النوفيلا في بعض الأحيان إلى مناظرة دينية، تكتظ بتجارب عالم يهودي..."[3].

ويمكن أيضا أن نفترض علاقة قوية، من الناحية الشكلية، بين كتاب "صولجان يهودا" "שבט יהודה" وبين المقامة العبرية؛ خصوصًا مقامات يهودا الحريزي[4]؛ ففي الوقت الذي يقسّم فيه الحريزي مقاماته إلى خمسين مقامة، ويُطلق على كل مقامة اسم "שער" "فصل"، نجد ابن فرجا يقسم كتابه إلى حوالي ستين فصلا، ويُطلق على كل فصل اسم "שמד" "اضطهاد"؛ كما نجد موتيف "الكدية" أو "الاحتيال" يتكرر بشكل شبه ثابت في

---

[1] ينظر: קלוזנר, יהודה אריה: הנובילה בספרות העברית, עמ' 98.

[2] ينظر: בער, פ. י.: הערות חדשות לס' שבט יהודה, עמ' 154.

[3] ينظر: שם, שם.

[4] يهودا بن شلومو الحريزي (1165 _ 1225م): أديب ومترجم عبري في الأندلس، له العديد من الترجمات والمؤلفات، أبرزها ترجمة مقامات الحريري البصري تحت عنوان "مقامات إيتيئيل" "" وترجمة كتاب "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون؛ أما مؤلفاته، فتعد "مقامات الحريزي"، المعروفة باسم "تحكموني" "תחכמוני" هي أبرز ما كُتب وفقا لنموذج المقامة العربية، والتي تأثر بها إلى حد بعيد جدا. كان الحريزي من نوع الشعراء الجوالين، الذين يتكسبون من تأليف الأشعار، ومن مديح كبار رجال اليهود، وترجمة الكتب لطوائف اليهود. وقد قام برحلة إلى الشرق، مر فيها بمصر، وفلسطين، وسوريا، وحلب، والعراق، ووصف أحوال الطوائف اليهودية في تلك البلدان، وقد سجل هذه الرحلة في مقاماته. ولمزيد من التفصيل، يُنظر: א. שירמן, חיים: השירה העברית בספרד הנוצרית ובדרום צרפת (עריכת עזרא פליישר), ירושלים, 1997, עמ' 153 _ 168. ב. אלחריזי, יהודה: ספר תחכמוני, נערל על פי כת"י ומהדורות שונות עם מבוא גדול והערות ע"י אהרון קאמינקא, הוצאת אחיאסף, 1899.

مقامات الحريزي، وهو ما يُمكن مقابلته بموتيف "الاضطهاد" أو "التنكيل" باليهود، الذي يتكرر بشكل شبه ثابت أيضا عند ابن فرجا؛ وفي النهاية نجد شخصيات ثابتة ومتكررة في مقامات الحريزي، وهو نفسه الأمر عند ابن فرجا، حيث يمكن اعتبار اليهود الشخصية المتكررة عند ابن فرجا. كما يمكن أن نضيف إلى ذلك موضوع "المناظرة" المتكرر بشكل ثابت في كلا الإنتاجين، وإن برز عند ابن فرجا بشكل ثابت ومتكرر.

وغاية القول، وسواء أكان ابن فرجا متأثرا بالنوفيلا الأوربية، أم بالمقامات الحريزية؛ فإنه قد أنتج شكلا أدبيا فريدا من نوعه، مزج فيه بين التاريخ والحاضر، واتخذ من الخلفيات التاريخية اليهودية للاضطهادات والنكبات التي تعرض لها اليهود، على مر تاريخهم، خصوصا في إسبانيا، لمناقشة أوضاع اليهود عشية الطرد من إسبانيا؛ للوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الطرد، بعدما كان مرحبا بالعنصر اليهودي، في البداية، لأبعد حدّ. وكذلك للوقوف على الملابسات الاجتماعية والدينية التي زامنت الطرد. وهو يريد من وراء ذلك أخذ العبرة والعظة، لتجنب تكرار مثل هذه الحوادث في المستقبل، وحثّ اليهود على التوبة من الذنوب والآثام التي وقعوا فيها، والتي جعلتهم محط نبذ الأمم والشعوب، التي يعيشون بين ظهرانيها.

المبحث الأول

عرض كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"

يتخذ ابن فرجا من موضوع "اضطهاد اليهود" مادة لكتابه "שבט יהודה" "صولجان يهودا"؛ ويقسّم الكتاب إلى اثنتين وستين قسما، ويُطلق على قسم اسم "שמד" التي تعني: "اضطهاد" أو "فناء"؛ دون أن يضع لها عنوانين محددة، مكتفيا بترقيمها ترقيما عدديا وحسب؛ هذا فضلا عن أنه لم يراع في ترتيبها الترتيب الزمني، حيث تتقدم بعض الحوادث المتأخرة، وتتأخر بعض الحوادث المتقدمة. وفيما عرض لتلك النكبات.

الاضطهاد الأول: وقد وقع في زمن القيصر الروماني أنطونيوس؛ إثر اتّهام اليهود بتخطيط زواج أنطونيوس من كليوبترا، بغية التقرب من السلطة؛ وحينما علم الرومان بذلك، اتّجهوا بقيادة أغسطس إلى القدس، وقاموا بالقضاء على أنطونيوس وكليوبترا، ثم بعدها على اليهود[1].

الاضطهاد الثاني: في زمن ابن سيرا، ويذكر ابن فرجا أنه لا يعرف سبب هذا الاضطهاد تحديدا، ولكنه يذكر أنه قد راح ضحيته ثلاثون ألفا من اليهود[2].

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ב.

[2] שם, עמ' ד.

الاضطهاد الثالث: في نهاية العصر الفارسي، وقبل سقوطهم على يد العرب؛ ويذكر ابن فرجا أن الوضع قد تغيّر بعد سقوط مملكة الفرس في يد الإسماعيليين (العرب)، والذين تعاملوا معهم بالفضل والإحسان[1].

الاضطهاد الرابع: في زمن الموحدين(1142م)، حيث يذكر ابن فرجا أن ابن تومارت[2] أصدر أمرا بتحويل جميع يهود مملكته عن دينهم، ويذكر ابن فرجا أن اليهود قد حاولوا بشتى الطرق إثناء الملك عن قراره، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل. وفي النهاية يموت هذا الملك، ويتولى ابنه مكانه، والذي يسمح لليهود بالعودة إلى دينهم[3].

الاضطهاد الخامس: نكبة يهود غرناطة بقيادة يوسف بن شموئيل هناجيد[4] سنة 1066م. ووفقا لابن فرجا فقد راح ضحية هذه النكبة 1500 يهودي[5].

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ד.

[2] محمد بن تومارت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت الصنهاجي، ولد في نهاية القرن الخامس الهجري بالمغرب الأقصى، وحفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم الإسلامية في أيام الصبا، ثم انتقل سنة 501 هـ إلى مدينة قرطبة، ودرس مؤلفات الإمام أحمد بن حزم الأندلسي. ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد ومنها إلى مكة ثم إلى القاهرة طلبا للعلم. وأثناء عودته من هذه الرحلة، مر بمكة، وبدأ من هناك دعوته من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بغية لفت الأنظار، وتكوين بعض الخلايا السرية. ثم واصل دعوته، لدى عودته إلى المغرب، وبدأ بمدينة المهدينة سنة 505 هـ. كما انتقل هناك في دعوته من الجانب التنظيري إلى الجانب العملي، وبدأ في تكوين قاعدة لدعوته. ينظر:

_ أحمد بن صالح بن محمد السحيباني، الإتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت : دراسة تاريخية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع6، 1992م، ص 547 _ 549.

[3] ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ו .

[4] يهوسف بن شموئيل هناجيد: ولد سنة 1035م. حرص والده شموئيل هناجيد أن يجعله خليفة له في كل شيء. وتذكر المصادر العبرية أنه كان ذا مواهب عظيمة. وقد قام في شبابه بجمع وترتيب قصائد أبيه. وقد درس التوراة على يد الحاخام نسيم بن يعقوب القيرواني. وقد ورث عن والده وزارة غرناطة في زمن باديس بن حابوس بن ماكسن الصنهاجي، كما ورث عنه أيضا رئاسة الطائفة اليهودية في غرناطة. وقد اتبع يوسف نهج والده في الإعتماد على اليهود في المناصب والوظائف الرفيعة، خصوصا المتعلقة بالأموال؛ مما أدى إلى استياء أهل غرناطة من يوسف هناجيد، الذي قلد الملوك في لباسهم وسكنهم وفي جميع مظاهر ترفهم. وفي النهاية تآمر على السلطان لقتله واستبداله بسلطان بني صمادح، ولكن المؤامرة انكشفت، فثارت عليه العامة، وقتلوه في قصره. ينظر:

_ מרגליות, מרדכי (עורך כללי), אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, כרך שלישי, הוצאת יהושע צ'צ'יק, תל–אביב/בסיוע מוסד הרב קוק שעל יד המזרחי העולמי, ירושלים, תש"ח, עמ' 699, 700.

_ فاطمة بوعمامة، إسماعيل بن النغريلة وابنه يوسف في المصادر الإسلامية، عالم التربية، المؤسسة العربية للإستشارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، ع 59، ج2، 2017م، ص 10 وما بعدها.

[5] ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ו.

الاضطهاد السادس: اضطهاد الرعاة(سنة 1320م)، ويذكر ابن فرجا أن هناك أقاويل كثيرة أدت إلى هذا الاضطهاد؛ منها أنه كان هناك فتى إسبانيًّا مسيحيًّا، زعم أن حمامة كانت تأتيه في المنام، وتخبره بالنبؤات، وكان كلما حاول لمسها تحولت إلى فتاة عذراء؛ وفي ليلة من ذات الليالي، جاءته، وأخبرته بأنها قد نصَّبته راعيا على الشعب، وبأنه سوف يقود الشعب في قتال العرب؛ وقد صدَّق الشعب كلام الفتى، والتف حوله عدد كبير، خصوصا من الرعاة؛ وحينما رأوا أنهم لا طاقة لهم بقتال العرب، توجهوا نحو اليهود (الضعفاء)، ففتكوا بهم وسلبوا أموالهم[1].

الاضطهاد السابع: وهو عبارة عن محاورة مُتخيلة بين الملك ألفونسو (العاشر) وبين حكيم متنصر يُدعى توماس؛ حيث يأتي إلى المدينة أسقف ويخطب في الجمهور، زاعمًا أن اليهود لا يحتفلون بعيد الفصح دون دم مسيحي؛ مما يؤدي إلى ضغط شعبي على الملك، يدفعه للتحقيق في الأمر. لكن الملك الذي لم يكن مقتنعا بكلام الأسقف، فيطلب المساعدة من توماس، وهل لهذا الأمر فعلا أصل في التملود. ثم يدور بين الطرفين نقاش، يتم التطرق فيه إلى أسباب كراهية اليهود، وأسباب المذابح والنكبات، التي تعرض لها اليهود قديما[2].

الاضطهاد الثامن: في السنة الرابعة من حكم الملك ألفونسو، وفي موعد عيد الفصح اليهودي، قام ثلاثة رجال في مدينة إستجة بإشبيلية، برمي جثة مسيحي في بيت يهودي، ثم اتهموه بأنه هو الذي قتله لأخذ دمه؛ ثم ينتشر الخبر في المدينة، فتندلع أعمال العنف ضد اليهود، وتمتد إلى المدن المجاورة؛ مما يضطر طوائف يهود إسبانيا، إلى إرسال مبعوثين عنهم، للدفاع عن أنفسهم أمام الملك، وهناك تدور محاورة طويلة بين الطرفين، هي موضوع "الاضطهاد"[3].

الاضطهاد التاسع: وقد كان ذلك في زمن القوط، وعلى وجه التحديد في زمن الملك سيسبوت سنة 613م؛ والذي يذكر ابن فرجا أنه أرد أن يفرض على اليهود المسيحية، ولكن اليهود يرفضون، ويفضلون الموت –على حد زعم ابن فرجا– عن ترك دينهم[4].

الاضطهاد العاشر: ويحكي عن المؤمرات التي دبّرها "جونثالث مارتن" أحد قادة الملك دون ألفونسو ابن الملك دون شانجو بن ألفونسو الكبير، ضد يهود قشتالة؛ حيث أوقع أولًا بيوسف إفرايم أحد أبرز اليهود البارزين في البلاط الملكي أنذاك؛ وحينما يتخلص منه يقنع الملك، الذي كان بحاجة إلى المال، لتجهيز الجيش لقتال

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ו , ז.

(2) ينظر: שם, עמ' י.

(3) ينظر: שם, עמ' לה.

(4) ينظر: שם, עמ' מא.

العرب، بأن يأخذ أموال اليهود ويطردهم من مملكته. ولكن تتبدد هذه المشورة، على يد أسقف يدعى "دون جيل"، والذي يذكره بأن اليهود هم "ثروة الملك"، وأن أي إضرار بهم هو إضرار بالملك نفسه[1].

الاضطهاد الحادي عشر: ويحكي عن الاضطهادات، التي تعرض لها اليهود في بعض المدن الإيطالية سنة 1490م، والتي يذكر ابن فرجا، أنه لم يتم تدوين تفاصيلها، ولا أسبابها، في المدونات التاريخية. ولكن يذكر أن هناك أعداد كبيرة، من اليهود، قد أُكرهت على التنصر، إثر هذه الأحداث، وإن بقيت تُمارس اليهودية سرًّا[2].

الاضطهاد الثاني عشر: يحكى ابن فرجا أن طفلا مسيحيا، قد قُتل في زمن الملك مانويل ابن الملك ألفونس في مدينة أوكيانا؛ وتمّ تلفيق التهمة لرجل يهودي. وفي النهاية، وبحيلة ذكية من زوجة اليهودي المتهم، ينجو زوجها، وينجو اليهود جميعا، وتظهر الحقيقة؛ حيث يتّضح أن قاتل الطفل مسيحي كانت بينه وبين والدته عداوة قديمة[3].

الاضطهاد الثالث عشر: يذكر ابن فرجا أنه في نفس فترة حكم الملك السابق، تمت دعوة اليهود من قبل أحد القساوسة، لحضور إحدى العظات؛ فيرفض اليهود، ويذهبون إلى الملك؛ لأنه كان يقرّب اليهود، وسوف يقف في جانبهم؛ فيأمرهم الملك بالذهاب إلى العظة، ويذهب هو الآخر معهم؛ وحينما يبدأ القس في ذم اليهود، يخرج الملك غاضبا؛ وحينئذ يتحول موقف القس، ويحوِّل مسار الكلام، ويأخذ في مدح اليهود[4].

الاضطهاد الرابع عشر: يذكر ابن فرجا أنه كان هناك في روما بابا تقي عادل، لكن أخته كانت تكره اليهود، وأخذت تحرّض ضد اليهود، وتدعو إلى طردهم من المملكة. ورغم رفض البابا لهذه الإدعاءات، إلا أنه ينصاع في النهاية لطلب أخته، ويأمر بطرد اليهود؛ ثم يتدخل ملك نابولي، ويسترضي أخت البابا، ويتم إلغاء أمر الطرد[5].

الاضطهاد الخامس عشر: يحكي ابن فرجا أنه في أحد أعياد الفصح، في مدينة مُنت لشون الفرنسية؛ وحينما خرج اليهود إلى الحقول، للعب والمرح والرقص؛ نشب شجار بين بعض الفتيان اليهود والمسيحيين، فتم تلفيق إحدى التهم على إثره لليهود، وتم القضاء عليهم عن بكرة أبيهم[6].

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' מג.

(2) ينظر:שם, עמ' מז.

(3) ينظر: שם, עמ' מח.

(4) ينظر: שם, עמ' נב.

(5) ينظר: שם, עמ' נג.

(6) ينظر: שם, עמ' נד.

الاضطهاد السادس عشر: يروي ابن فرجا أن عامة الشعب، في إسبانيا، قد ذهبوا إلى الملك، وأخبروه بأنهم قد وجدوا قتيلا مسيحيا، في بيت رجل يهودي؛ ثم طلبوا منه أن يقتص من اليهود؛ وإن لم يفعل، فسوف يثأرون بأنفسهم منهم؛ ولأن الملك كان على علمٍ بأمر هذا القتيل، وبأن المسيحيين هم الذين رموه في بيت اليهودي، فقد ظهرت براءة اليهود، وقدّم المتهمون الحقيقيون إلى القضاء[1].

الاضطهاد السابع عشر: في ممكلة فرنسا يأتي رجلان إلى الملك، ويخبرانه بأنهما شاهدا يهوديا يجذب مسيحيا بالقوة، إلى داخل البيت، ليقتله؛ لكي يعد من دمه فطيرا لعيد الفصح. ورغم أن الملك يرفض تصديق هذا الكلام بدايةً، ويقف في صف اليهود؛ إلا أنه وتحت تأثير الضغط الشعبي، يأمر بالقبض على أحد اليهود، ثم يقوم بتعذيبه، حتى يعترف بأنه قتل المسيحي؛ لتبدأ بعد ذلك عملية موسعة من الإضطهادات، ضد اليهود. وفي النهاية تظهر الحقيقة، وأن الجثة قد ألقيت في بيت اليهودي[2].

الاضطهاد الثامن عشر: يذكر ابن فرجا أنه قد حدث في لندن محاولة لتنصير حوالي 2000 أسرة من العائلات اليهودية الثرية، وحينما رفضوا، وتمسكوا بدينهم؛ تم اتهامهم بتزييف العملات، ولكن الملك يفهم الحيلة، ويكتشف في النهاية أنهم هم المُزَيّفون الحقيقيون. وتستمر الإدعاءات والإضطهادات، ولذلك يقرر الملك، طرد اليهود من مملكته، لوقف هذه الأعمال، ضد اليهود[3].

الاضطهاد التاسع عشر: يذكر ابن فرجا أنه في سنة الطرد من الأندلس، أجبرت أعداد كبيرة، من يهود نابولي وتيرانا في إيطاليا، على التنصر؛ جراء حيلة، دبَّرها لهم، أحد رجال الدين المسيحي. وفي النهاية تظهر الحقيقة، وتنكشف الحيلة، ويعاقب الملك رجل الدين، على فعلته[4].

الاضطهاد العشرين: يذكر ابن فرجا، أنه قد وقع طرد جماعي ليهود فرنسا، وسبب ذلك وفقا لما نقله ابن فرجا، من بعض وثائق اليهود الأشكناز، هو تهود أحد رجال الدين المسيحي؛ بغية الارتباط بإحدى النساء اليهوديات، والتي رفضت الارتباط به قبل أن يتهود؛ ورغم تردد الملك في طرد اليهود، لأهميتهم الشديدة في المملكة، ولعلمه ببراءتهم_وفقا لابن فرجا_ إلا أن الضغط الشعبي، يجبره في النهاية على طردهم[5].

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' נה.

(2) ينظر: שם, עמ' נו.

(3) ينظر: שם, עמ' ס.

(4) ينظر: שם, עמ' ס.

(5) ينظر: שם, עמ' סא.

الاضطهاد الحادي والعشرين: في سنة 1296م قام فيليب (ملك فرنسا) قام بطرد اليهود من مملكته، وصادر جميع أموالهم، ومقتنياتهم، وأراضيهم، وعقاراتهم، وأخرجهم من أرضه. وأما من بقي منهم، فقد تنصروا جميعا[1].

الاضطهاد الثاني والعشرين: ويروي ابن فرجا، أنه قبل ذلك بأربع سنوات، كان هناك طرد خاص سنة 1254م من فرنسا، ولا يُعرف سببه[2].

الاضطهاد الثالث والعشرين: يذكر ابن فرجا، أن اليهود المطرودين، قد عادوا إلى فرنسا، بعد خمسين سنة؛ وكان قد تولى عليها ملك جديد، ولكنه عاد وأمر بتنصير اليهود، بعد اضطهاد شعبي تم ممارسته ضدهم[3].

الاضطهاد الرابع والعشرين: وتبدأ القصة بحادثة صيد، تنتهي بموت الملك فيليب ملك فرنسا، والذي كان قد طرد اليهود. وقد تمّ تفسير وفاته، على أنه عقاب إلهي، جراء كراهية اليهود. وحينما يتولى ابنه، من بعده، يأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، ويتسامح مع اليهود، ويعيدهم إلى مملكته[4].

الاضطهاد الخامس والعشرين: وبعد مرور سبع سنين، في نفس المملكة، تمّ تلفيق التهم لليهود، وتمّ طردهم مرة أخرى؛ ولكن ابن فرجا يذكر، أن الملك كان عادلا هذه المرة، فسمح لليهود بأن يحملوا معهم أموالهم، وجميع مقتنياتهم، كما أرسل معهم بعض الجنود، مخافة تعرضهم للسلب؛ ومع ذلك يتعرضون للسلب على يد القرويين وقطّاع الطرق[5].

الاضطهاد السادس والعشرين: اتهام اليهود بتسميم آبار الماء، أثناء فترة الوباء الأسود، من قبل عامة الشعب؛ ورغم تشكك الملك في ضلوع اليهود في هذا الأمر، وموقفه المتحيز لليهود؛ إلا أنه يضطر في النهاية إلى طردهم من مملكته، نزولا على رغبة جموع شعبه[6].

الاضطهاد السابع والعشرين: ويتحدث ابن فرجا هنا، عن الأحداث التي وقعت لليهود في إسبانيا المسيحية سنة 1391م؛ حيث قامت شعوب الممالك المسيحية على اليهود، وفتكوا بهم، وسلبوهم، وقتلوا منهم نفرا كثيرا ، في ممالك أراجون، وبلنسية، ومايوركا، وبرشلونة، وليريدا؛ ويقرر قادة الطوائف في النهاية الرحيل، والبحث عن ملجأ آمن يستوعبهم[7].

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' סג.

(2) ينظر: שם, עמ' סד.

(3) ينظر: שם, שם.

(4) ينظر: שם, עמ' סד.

(5) ينظر: שם, עמ' סה.

(6) ينظر: שם, עמ' סה.

(7) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' סו.

الاضطهاد الثامن والعشرين: يروي ابن فرجا إحدى الروايات، التي يذكر أنه سمعها من القدماء، أن ملك اليونان قد سعى إلى تنصير اليهود، ولكن اليهود تمسكوا بدينهم؛ مما دفع الملك إلى عزلهم في مكان مخصص لهم، كما فرض عليهم العمل في مهنة الجلود والحوانيت فقط[1].

الاضطهاد التاسع والعشرين: في عهد ألفونس الحكيم، يذكر ابن فرجا أنه تمّ تلفيق تهمة دم لليهود؛ وكالعادة، نجد الملك منحازا إلى اليهود؛ ولكن الجماهير، ورجال الدين، يجبرونه على اتخاذ موقف معاد من اليهود؛ كما يجبرون رجلا يهوديان تحت وطأة التعذيب، على الاعتراف بقتل المسيحي؛ وفي النهاية تتكشف المؤامرة، ويتم تبرئة اليهود[2].

الاضطهاد الثلاثين: يذكر ابن فرجا، أن اليهود قد تمّ اضطهادهم زمن الموحدين؛ وهو ما أدى إلى فرار كثير منهم خارج إسبانيا، كان من بينهم الحاخام موسى بن ميمون؛ والذي كتب على إثر هذه الأحداث "אגרת תימן" "رسالة اليمن"، والتي يشدّ فيها من أزر يهود إسبانيا، ويدعوهم إلى التمسك بتوراة موسى، ويعدهم بالخلاص في القريب العاجل[3].

الاضطهاد الواحد والثلاثين: ويحكي فيه ابن فرجا عن ظهور مسيح كاذب[4]، يُدعى "דויד אלדויד" "داود الدويد"، في عموديه بكردستان. وكان داود هذا متعمقا في التلمود، وفي العلوم الخارجية، وفي السحر. وقد عمل على إثارة اليهود وتحريضهم ضد الملك؛ والذي يقرر القبض عليه وإلقاؤه في السجن، ويطلب منه أن

---

(1) ينظر: שם, עמ' סז.

(2) ينظر: שם, עמ' סט.

(3) ينظر: שם, עמ' ע.

(4) ظهرت مجموعة كبيرة من المسحاء الكذبة على مر التاريخ اليهودي، الذين يدعون أنهم "المسيح المنتظر"، مثل "بركوكبا" حوالي 130 ق.م، وكذلك إسحاق بن يعقوب المعروف بأبي عيسى الأصفهاني (685 _ 705)، و"سيرينوس" الذي ظهر في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وغيرهم الكثير. ويُعد "داود الداودي" أو "داود الرائي" أبرز الذين زعموا أنهم "المسيح المخلص"، وهو من مواليد آمد بكردستان سنة 1135م. درس التوراة والمشنا والتلمود في شبابه، كما درس السحر والتنجيم، وقد بدأ خطواته الأولى في إدعائه بأنه المسيح المنتظر بدعوة اليهود بالنزوح إلى فلسطين وانتزاعها من يد العرب. ولم يكتف بذلك، بل أخذ ينشر أفكاره بين اليهود، ويطلب منهم التوجه إلى فلسطين وانتزاعها من يد العرب، وإقامة حكومة يهودية فيها، تعيد أمجاد مملكة داود وفلسطين. وقد تشجع اليهود لهذه الدعوة، وانضمت إليه أعداد كبيرة من يهود أذربيجان، كما أخذ يراسل يهود بغداد والموصل، ويدعوهم إلى الإنضمام إليه، ومساعدته، بإشاعة الفوضى والخراب في بلاد العرب. ولكن سرعان ما هجمت عليه جيوش المسلمين فقضت عليه وعلى جيشه وأفكاره. ينظر: حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971م، ص 137.

يحرر نفسه، لو كان مسيحيا حقًّا. وقد استطاع داود هذا الهرب، بطريقة ما. ثم يطلب منه الملك العودة؛ وإلا سيقوم بذبح يهود المملكة، فيرفض العودة، ويسخر من اليهود. وفي النهاية يتم الإمساك به وقتله[1] .

الاضطهاد الثاني والثلاثين: وفي زمن آخر في مملكة فارس، يظهر مسيح كاذب آخر، وينجح في جمع جماهير غفيرة حوله من اليهود –على حد كلام ابن فرجا، لدرجة أنه يقرر قتال الملك؛ ولم يقبل الرجوع عن رأيه هذا، إلا بعد أن أعطاه الملك جملة النفقات، التي كان قد أنفقها على الرجال، أثناء تجهيزهم للقتال. وبعد أن تأكد للملك تحوله عن قتاله، وهدأت الأوضاع؛ قام الملك باضطهاد اليهود، وجمع منهم ما كان قد دفعه لهذا المسيح الكذاب، تحت وطأة التعذيب والتنكيل[2].

الاضطهاد الثالث والثلاثين: يذكر ابن فرجا أنه كان هناك اضطهاد كبير لليهود، في مدينة فاس العظيمة، وأنه لم يجد شيئا مكتوبا عنه، ولا عن أسبابه[3].

الاضطهاد الرابع والثلاثين: يذكر ابن فرجا أنه تم تخيير اليهود في إحدى المدن الألمانية بين التنصر وبين القتل، وتم إمهالهم ثلاثة أيام. وبانتهاء الأيام الثلاثة، حدث عكس ما كان متوقعا؛ حيث قام اليهود بالهجوم على المدينة، وأشعلوا النار فيها[4].

الاضطهاد الخامس والثلاثين: وفي مدينة تدعى بودني، يذكر ابن فرجا، أنه تم تخيير اليهود بين التحول عن دينهم، وبين الموت حرقا بالنار؛ فيفضل اليهود الحرق بالنار، عن التخلي عن اليهودية[5].

الاضطهاد السادس والثلاثين: وفي إحدى مدن ألمانيا، يذكر ابن فرجا أنه تم تخيير اليهود بين التحول عن اليهودية، وبين الذبح، فيختار اليهود الذبح عن التخلي عن اليهودية، وفي النهاية يأمر الملك برمي جثثهم إلى الكلاب[6].

الاضطهاد والسابع والثلاثين: يذكر ابن فرجا أنه كان هناك طبيب يهودي للملك، وكان يذهب إلى قصر الملك كل صباح. وفي يوم من الأيام، شاهد في طريقه رجلين عربيين يتشاجران، وثالث يُحاول أن يُصلح بينهما، ويستحلفها بالنبي محمد، فلم يستجيبا له؛ وحينما رآهما طبيب الملك استحلفهما بحياته، فكفا عن الشجار؛ ومن هنا –على حد كلام ابن فرجا– قامت الدنيا ولم تقعد؛ إذْا كيف يستجيبان للحلف بحياة يهودي ولا يستجيبان

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ס.

(2) ينظر: שם, עמ' עג.

(3) ينظر: שם, עמ' פט.

(4) ينظر:שם, עמ' צ.

(5) ينظر: שם, עמ' צ.

(6) ينظر: שם, עמ' צא.

للحلف بنبيهما؛ فقاموا على اليهود، وفتكوا بهم، ولم ينج منهم سوى بعض ذوي الجاه والثراء؛ وقد حرم عليهم منذ ذلك اليوم، لبس الحرير، وركوب الخيل؛ لئلا يحسدهم العرب[1].

الاضطهاد الثامن والثلاثين: وفي إسبانيا، وتحديدا في إحدى المدن المجاورة لإشبيلية، يذكر ابن فرجا أنه تم تلفيق "تهمة دم" لليهود، من قبل بعض الأساقفة؛ وفي النهاية، وبعد أن أمر الملك بسجن جميع اليهود، تنكشف الحقيقة بمعجزة على يد الحاخام يهودا بن فرجا[2].

الاضطهاد التاسع والثلاثين: ويتحدث ابن فرجا عن أن اليهود، في مدينة روما، قد تمّ تخييرهم بين التحول عن اليهودية وبين القتل. ورغم التوسلات التي قدمها اليهود؛ إلا أنها لم تجدِ نفعا، حيث تنصرت أعداد غفيرة منهم؛ في حين استطاعت أعداد كبيرة الفرار بدينها. ولكن لم يمر وقت طويل، حتى شربت من نفس الكأس[3].

الاضطهاد الأربعين: ويتناول فيه ابن فرجا "וויכוח טורטוסה" "مناظرة طرطوسة" ودور المتنصر يهوشع هالورقي، والذي عرف بعد تنصره باسم "جيرونيمو دي سانتا بي"؛ والذي دعا حاخامات اليهود للمثول أمام البابا، ليُثبت لهم من التلمود نفسه، حقيقة المسيح عليه السلام؛ وقد اشترك في هذا الجدل على نحو ما يذكر ابن فرجا ممثلين عن جميع طوائف اليهود في إسبانيا[4].

الاضطهاد الواحد والأربعين: ويروي ابن فرجا هنا مناظرة حول اليهود، وبقية شعوب العالم، أمام البابا، وفشل المبعوثين اليهود في المناظرة[5].

الاضطهاد الثاني والأربعين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن الطقوس التي كانت ترافق رؤوساء الجالوت في العراق قديما، ونهاية رئاسة الجالوت[6].

الاضطهاد الثالث والأربعين: اضطهاد المجذومين سنة 1321م؛ حيث يذكر ابن فرجا، أنه تم اتهام اليهود بالتعاون مع المصابين بمرض الجذام، لنشره في فرنسا، والممالك الإسبانية، خاصة أراجون. وقد تمّ إيداعهم جميعا في السجن، بدون بحث أو استقصاء، وتم تعذيبهم والتنكيل بهم؛ وفي النهاية تظهر الحقيقة[7].

---

(1) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' צא.

(2) ينظر: שם, עמ' צב.

(3) ينظر: שם, עמ' צג.

(4) ينظر: שם, עמ' צד.

(5) ينظر: שם, עמ' קי.

(6) ينظر: שם, עמ' קיט.

(7) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' קכא.

الاضطهاد الرابع والأربعين: يذكر ابن فرجا أنه كان في إسبانيا قس يكره اليهود، وقد استغل علاقته بالملكة في استصدار أمر من الملك –الذي كان يحبّ اليهود– يقضي بتنصير جميع يهود المملكة، وإلا عوقبوا بالطرد؛ وفي النهاية –على نحو ما يذكر ابن فرجا– تنكشف الحقيقة، وينجو اليهود من المذبحة[1].

الاضطهاد الخامس والأربعين: هلاك طائفة برشلونة، ومعظم طائفة جيرونا، وكذلك معظم طائفة كتالونيا سنة 1393م، لسبب غير معروف، على وجه الحقيقة[2].

الاضطهاد السادس والأربعين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن محاولات البابا وملكة إسبانيا تنصير اليهود، والقرارات التي أصدراها في هذا الصدد؛ والتي أسفرت عن تنصر أعداد كثيرة منهم، في حين تمسك بعضهم بيهوديته. وهؤلاء قد تعرضوا للتنكيل والتعذيب؛ بينما فرّت أعداد كثيرة منهم هاربة، والتي تعرضت للسلب والنهب في الطريق[3].

الاضطهاد السابع والأربعين: ويذكر ابن فرجا بعض الاضطهادات الذي تعرض لها اليهود في إسبانيا، وعلى وجه الخصوص في بورجوس، حيث كانت هناك طائفة يهودية كبيرة ومثقفة؛ أُجبِرت أعداد كبيرة منهم على التنصر، في مقابل جماعة أخرى آثرت البقاء على اليهودية، فكان مصيرها –كما يذكر ابن فرجا– القتل[4].

الاضطهاد الثامن والأربعين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن أحداث سنة 1391م في إشبيليه وقرطبة وإستجة وأندلوسيا ومجريط وقشتالة، والتي تنصرت على إثرها أعداد كبيرة جدا من اليهود؛ كما أخذت أحوال يهود إسبانيا المسيحية في التدهور، منذ ذلك الوقت[5].

الاضطهاد التاسع والأربعين: يذكر ابن فرجا أنهم زادوا من اضطهاد اليهود، في زمن الملك جوان بن الملك أنريكي، وفرضوا عقوبات غليظة، على كل من امتنع عن التنصر؛ مثل عدم مخالطة الجمهور، وعدم الاشتغال في بيع الطعام للعامة؛ لأنهم اتهموهم بتسميم التوابل والأطعمة، وكذلك عدم الاشتغال بالحجامة والطب، وألا يتملكوا الضيع، وأن يحملوا شارة حمراء تدل على أنهم يهود[6].

---

(1) ينظر: שם, עמ' קכב.

(2) ينظر: שם, עמ' קכג.

(3) ينظر: שם, עמ' קכג.

(4) ينظر: שם, עמ' קכג.

(5) ينظر: שם, עמ' קכד.

(6) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' קכד.

الاضطهاد الخمسين: في وصف حالة المطرودين من قشتالة، والمحن التي نزلت بهم؛ حيث تعرضوا للسلب والنهب على يد القراصنة، وغدر أصحاب السفن؛ حيث باعوهم في الجزر النائية، وقالوا أنهم أسروهم في الحروب[1].

الاضطهاد الواحد والخمسين: ينقل فيه ابن فرجا نصا كاملا لإسحاق بن أبربنئيل في "ספר המלכים" "كتاب الملوك""ספר המלכים"، يتحدث فيه عن طرد يهود قشتالة[2].

الاضطهاد الثاني والخمسين: يروي فيه ابن فرجا رواية عن بعض الشيوخ، يتحدث فيها عن سفينة كانت تقل بعض اليهود المطرودين؛ فأصاب السفينة وباء، مما اضطر ربان السفينة أن يرميهم على اليابسة في مكان مقفر، فمات معظمهم من شدة الجوع والعطش[3].

الاضطهاد الثالث والخمسين: ويحكي فيه ابن فرجا، عن الويلات الشديدة التي نزلت بالمطرودين الذي نزحوا إلى مدينة فاس؛ خصوصا القحط الشديد، وعدم السماح لهم بدخول المدينة، خشية غلاء الأسعار بسببهم؛ فكانوا يأكلون العشب والكلأ في الفيافي من شدة الجوع، حتى ماتت منهم أعداد كبيرة، وذلك على حد كلام ابن فرجا[4].

الاضطهاد الرابع والخمسين: ويذكر ابن فرجا أن الفقر والقحط، قد بلغا من اليهود الذين نزلوا حول مدينة فاس مبلغهما؛ بحيث كانوا يذهبون إلى المدينة ويبيعون أولادهم، مقابل كسرات من الخبز؛ وحينما مر القحط، أعلن الملك –وكان رجلا تقيا– أن كل من سيشترى ولدا يهوديا بالخبز، سوف يكون جزاؤه الموت[5].

الاضطهاد الخامس والخمسين: وفي تلك الأيام رست سفينة غريبة على الشاطئ القريب من فاس، فذهب بعض الصبية اليهود، يبحثون عن شيء يقتاتونه، بالقرب منها؛ فناداهم الربان، وأعطاهم خبزا كثيرا؛ فذاع الخبر في مخيم اليهود، والتف حوله، في اليوم التالي، عدد كبير جدا من صبية اليهود، يبلغ المائة؛ فدعاهم الربان لدخول السفينة، حتى يستطيع أن يعطيهم خبزا كثيرا، وبمجرد دخولهم السفينة، قيدهم وأسرهم وانطلق بهم في البحر[6].

---

(1) ينظر: שם, עמ' קכה.

(2) ينظر: שם, עמ' קכו.

(3) ينظر: שם, עמ' קכז.

(4) ينظر: שם, עמ' קכח.

(5) ينظر: שם, עמ' קכח.

(6) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' קכט.

الاضطهاد السادس والخمسين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن بعض السفن، التي كانت تقل على متنها بعض اليهود المطرودين من إسبانيا، والتي كانت متجهة إلى إيطاليا؛ حيث لم يسمح لها بالدخول في البداية، بسبب القحط والوباء؛ وثم سُمح لهم بعد ذلك بدخول إقليم جينوفا، وقد كانوا في حالة فقر شديد؛ وكانوا يتحولون عن دينهم – كما يذكر ابن فرجا_ لأجل كسرة من الخبز.

الاضطهاد السابع والخمسين: ويذكر ابن فرجا أن عددا من اليهود، الذين قدموا إلى إقليم جينوفا، قد خرجوا بعد ذلك متجهين إلى روما؛ بسبب القحط والجوع، وهو الأمر الذي قوبل بالرفض، من قبل الطائفة اليهودية، التي كانت موجودة آنذاك في مدينة روما. وقد أدى ذلك إلى قيام البابا بطردهم جميعا؛ وحينذ لجأ اليهود، إلى جمع مبلغ كبير من المال له، مقابل السماح لهم بالبقاء في روما.

الاضطهاد الثامن والخمسين: ويروي ابن فرجا فيه أن سفينة، كانت تقل بعض المطرودين من يهود إسبانيا؛ فاستولى ربان السفينة على متاعهم وثيابهم، ورماهم على صخرة قريبة من الشاطئ عرايا، في مكان مهجور. ويذكر ابن فرجا أن اليهود قد مكثوا في هذا المكان، حوالي خمسة أيام؛ حتى مرت سفينة أخرى من هناك، فأشفق عليهم رباناها، فأقلهم معه، وكساهم وأطعمهم، وأنزلهم في مكان آهل بالناس[1].

الاضطهاد التاسع والخمسين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن حياة المطرودين من لشبونة، وعلى رأسها سلب الأولاد منهم بأمر الملك، ورميهم في الجزر النائية"Islas perdidas"؛ والسبب في ذلك، على نحو ما يذكر ابن فرجا، أن اليهود المطرودين من إسبانيا، قد ألزموا أنفسهم، بدفع ضريبة للملك، ولكنهم تحللوا من هذا الإلتزام، وهو ما أدى إلى غضب الملك عليهم[2].

الاضطهاد الستين: ويحكي فيه ابن فرجا عن مذبحة وقعت لليهود في مدينة لشبونة بالبرتغال، وهو ينقل أحداثها –كما يقول– عن أحد الشيوخ، الذين شاهدوها بأم أعينهم؛ وقد كانت نتيجة لمكيدة دبّرها لهم بعض رجال الدين، وفي النهاية يكتشف الملك الحقيقة، ويعاقب القتلة[3].

الاضطهاد الواحد وستين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن أنهم قد قاموا في إسبانيا ضد اليهود، بسبب عثروهم على صبي مقتول في بيت رجل يهودي، واتهموه بأنه هو الذي قتله؛ ليأخذ دمه، لأجل عيد الفصح؛ ويروي أن حاخاما يهوديا من أهل القبالاه، وضع اسما تحت لسان الصبي، فاستيقظ وأخبرهم باسم قاتله[4].

---

(1) ينظر: שם, עמ' קל.

(2) ينظر: שם, עמ' קלא.

(3) ينظر: שם, עמ' קלא.

(4) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' קלג.

الاضطهاد الثاني والستين: ويحكي عن التعذيب الذي لقيه الحاخام يهودا بن فرجا قبل وفاته، ليرشد محاكم التفتيش عن المتنصرين اليهود، الذين كانوا يمارسون اليهودية سرا؛ لكنه رفض وفضل الموت[1].

الاضطهاد الثالث والستين: ويتحدث فيه ابن فرجا عن الأمور التي أدت إلى هذه الإضطهادات، مع أن هناك شعوبا أخرى كثيرة، أخطأت في حق الرب أكثر من اليهود؛ ويخلص إلى أن الأسباب المؤدية لذلك تتمثل في سبعة أمور، لخصها هناك[2].

المبحث الثاني:

الإطار القصصي للاضطهاد السابع "השמד השבעי"

يبدأ "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع" بتلفيق "تهمة دم" لليهود من قبل بعض الأساقفة؛ فيطلب الملك ألفونسو (العاشر)[3] من يهودي مُتنصر، يُدعى توماس، أن يقدّم إليه المشورة في هذا الأمر، وهل من الصحيح أن اليهود لا يستطيعون الاحتفال بعيد الفصح بدون "دم مسيحي"؟

ورغم أن الملك يرى في هذه الفرية نوعا من السفه والحماقة؛ إلا أنه يذكر له، أنه لا يستطيع أن يترك الأمر يمر هكذا مرور الكرام؛ لأنه يتعرض لاتهامات من شعبه، ومن رجال الدين، يتهمونه فيها بالوقوف بجانب اليهود وتعاطفه معهم، كما لو كان يهوديا؛ وقد هددوه بأنه إذا لم يتخذ منهم موقفا، فسوف يقومون هم على اليهود، ويثأرون لقتلاهم منهم؛ وهذا ما يخشاه الملك ولا يريده؛ ولذلك فهو يريد أن يستجلي حقيقة الأمر، ويعلم هل لهذا الأمر حقا أصل عندهم في دينهم، أم لا؟ فإن كانوا كذلك طردهم من مملكته، وإن لم يكن، دافع عنهم بنفسه، أمام الشعب، وأمام رجال الدين.

ثم يدور بعد ذلك حوار بين الملك وتوماس حول هذا الموضوع، كما يتناولان فيه أيضا مسائل مهمة، في حياة اليهود في إسبانيا المسيحية، وفي حياتهم قديما؛ ويتطرقان إلى مسألة كراهية الشعوب لليهود، والأسباب التي دفعت إلى هذه الكراهية؛ كما يُفَنّد توماس في سياق الحديث "تهمة الدم"، ويبيّن له كذبها، وأنها تستند على

---

(1) ينظر: שם, עמ' קלג.

(2) ينظر: שם, עמ' קלג.

(3) المقصود بالملك ألفونسو هنا هو الملك ألفونسو العاشر؛ حيث تُشير المصادر إلى أن اليهود قد نالوا حريتهم وحقوقهم في عهد هذا الملك، كما تم تحريم "تهمة الدم"، ومنع ممارسة أي مضايقات أو اعتداءات ضد اليهود في أيام السبت، أو إعاقتهم عن أداء شعائرهم الدينية، كما منع استعمال القوة في تنصير اليهود، ومنع أي اعتداءات من أي نوع تمارس ضد اليهود، "وكانت غرامة قتل اليهودي تعادل الغرامة التي تدفع عن قتل فارس أو قس". ينظر: هدى درويش، المارانوس (اليهود المتنصرون) بين اليهودية والمسيحية، القاهرة، 2007م، ص 15.

حجج واهية وباطلة؛ وهو لا يكتفي بسرد البراهين النقلية فقط، وإنما يقوم أيضا بسرد البراهين العقلية والمنطقية على ذلك.

كما يتناولان أيضا في سياق محاورتهما بعض المسائل الأخرى، مثل هل يُعدّ المسيحي (أجنبيّا) في اليهودية؟ ووصف اليهود بالخنازير، ولماذا يُعدّ هذا الوصف مناسبا لهم دون غيره من الأوصاف، وأن هذا الوصف لا يُعدّ ذمًّا ومنقصة بل مديحا وثناء، لأنه وافق سجايا وطباعا –على حد قوله– في الخنزير. كما تطرقا في حديثهما، أيضا، إلى أن كراهية اليهود، محصورة فقط، بين طبقات الشعب، ورجال الدين، لأسباب اقتصادية ودينية.

ثم يذكر ابن فرجا، أنه وفي أثناء حديثهما، يدخل عليهما جماعة من المسيحيين، يزعمون أنهم قد وجدوا قتيلا مسيحيا، في بيت رجل يهودي، وأنه قد قتله، فيما يبدو، لأخذ دمه لأجل عيد الفصح؛ فيخبرهم توماس، بأن الملك، قد أمر برد ضيعهم، وأموالهم، إليهم (والتي وسبق واستولى عليها اليهود منهم، من خلال المعاملات الربوية)، وأنه سيمنع اليهود، من المعاملة بالربا، كما سيمنعهم من لبس الحرير والديباج.

هنالك فرح الشعب، وسعدوا سعادة بالغة؛ ولكن الملك ألفونسو يخبرهم، أنه لن يردّ إليهم شيئا، قبل أن يخبروه بحقيقة القتيل، الموجود في بيت اليهودي؛ فيخبرونه بأنهم وجدوه مقتولا في الشارع، وأنهم هم الذين أخذوه، ورموه، في بيت اليهودي؛ فيفرح الملك ببراءة اليهود؛ لأنه رأى بعينه، أنهم يفترون بهذه الفرية، على اليهود.

ولا ينتهي الحديث عند هذا الحدّ، بل يمتد ليتطرق إلى تاريخ اليهود في إسبانيا، وكيف وصلوا إليها؛ حيث يُذْكَرُ، أنهم وصلوا إليها في زمن الملك إشبان، والذي اشترك مع نبوخذنصر في حربه ضد اليهود، وتخريب مملكتهم، وتدمير الهيكل الأول؛ حيث ساق أعدادا من اليهود المسبيين إلى إسبانيا القديمة، فاستقروا في أندلوسيا وطليطلة؛ ومن هناك انتشروا وزادت أعدادهم جدا، فسكنوا إشبيلية وغرناطة. كما وصلت أفواج من اليهود، أيضًا، إلى إسبانيا في زمن الرومان؛ حيث ساق الرومان أعدادا منهم، بعد خراب الهيكل الثاني، إلى أسبانيا: والتي كانت تقع، آنذاك، حتى سيطرتهم.

كما يتطرق الحديث بينهما، أيضا، إلى مسألة هي في غاية العنصرية، وربما لم يقم أحد بتحليلها على هذا النحو، مثل ابن فرجا، وهو ما يزعمونه بـ"نقاء العنصر اليهودي"، وأن عزلة اليهود كانت هي وعدم اختلاطهم بالأمم، سببًا في نقاء عنصرهم.

كما يتطرق الحديث، بين توماس والملك ألفونسو، أيضا، إلى مسألة العقاب الإلهي لليهود؛ مع أن هناك أمم، ارتكبت من الآثام والخطايا، أشدّ مما ارتكبه اليهود؛ واكتسبت من الآثام والموبقات، أشد مما اكتسبوه؟

كما يتمّ التطرق أيضًا إلى بعض المسائل والقضايا الأخرى، مثل تقديس اليهود ليوم السبت، وتقديس المسيحيين ليوم الأحد، وتقديس المسلمين ليوم الجمعة؛ ولماذا هذه الأيام دون سواها.

وفي النهاية، يُنهي الملك الحوار، معلنا براءة اليهود من كل تهمة تُنسب إليهم، ويذكر لتوماس أنه سعيد جدًّا ببرائتهم، وكل من يسعى لإيذائهم سينقلب تدبيره عليه.

المبحث الثالث

الأوضاع الاجتماعية ليهود إسبانيا المسيحية من خلال "השמד השבעי" "الاضطهادالسابع"

يتناول "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع" في كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهود" لابن فرجا، عددا كبيرا من الموضوعات، والمشكلات الاجتماعية، داخل الطوائف اليهودية في إسبانيا، خلال القرن الخامس عشر. وفيما يلي، عرض لأبرز تلك المشكلات والقضايا.

أولا: إلصاق فرية الدم "עלילת הדם" باليهود:

تعدّ "עלילת הדם" "تهمة الدم"؛ وهي اتهام اليهود بقتل صبي، أو رجل مسيحي، في عيد الفصح اليهودي؛ لأجل استعمال دمه في صنع الفطائر، التي تُعدّ خصيصا في هذا العيد[1]. وقد شاع إلصاق هذه التهمة باليهود، في أوربا، في العصور الوسطى؛ خصوصًا في إسبانيا المسيحية؛ حيث يأتي في العادة شخص، خصوصًا في أيام عيد الفصح اليهودي، ويدّعي أنه شاهد شخصًا مسيحيًّا، أو طفلًا مسيحيًّا مقتولًا، في بيت يهودي؛ ومن ثم، يحدث اضطهاد عام لليهود، ويتم تعذيبهم وشنق بعض منهم على إثره[2].

وقد ظهرت "تهمة الدم" في أوربا، في العصور الوسطى، مرتبطة باشتغال اليهود بالربا، واستحواذهم على أموال الشعب، وأراضيهم، ومقتنياتهم، من خلال المعاملات الربوية؛ ولذلك فقد كانت هذه التهمة تُتخذ، في الغالب، ذريعة لإسقاط الديون عن المدينين، من أبناء الطبقات المختلفة؛ خصوصا بعد أن يتم شنق أعداد من اليهود؛ ويذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري أن هذه العلمية "كانت تشبه من بعض الوجوه التخطيط لسرقة بنك من البنوك"[3].

وقد ربط ابن فرجا في كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهود"، كثيرا من المذابح والإضطهادات التي تعرض لها اليهود، في أوربا، وفي إسبانيا، في العصور الوسطى، بهذه التهمة؛ ويبدأ الاضطهاد السابع، باتهام من

---

[1] ליסק, משה: ערך "עלילת הדם", האנציקלופדיה העברית, כללית יהודית וארצישראלית, כרך עשרים וששה, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשל"ד, עמ' 857 – 858.

[2] ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 2، دار الشروق، ص 360، 361.

[3] المرجع نفسه، ص 361.

أحد القساوسة لليهود، بأنهم لا يستطيعون أن يحتفلوا بعيد الفصح[1] بدون دم مسيحي؛ ورغم وقوف الملك في صف اليهود، ومعرفته ببرائتهم –على نحو ما يذكر– إلا أنه يضطر مرغما، لأن يفتح تحقيقا في هذا الأمر؛ لئلا يتهمه شعبه بأنه "يهودي" أو "أجنبي"[2].

فيقوم الملك ألفونسو باستدعاء يهودي متنصر، يُدعى "توماس"، إلى بلاطه؛ ثم يطلب منه أن يبين له حقيقة هذا الأمر، وهل تأمر اليهودية، حقا، بضرورة صنع فطير عيد الفصح، بدم مسيحي أم لا. فيرد عليه توماس، بأن هذه فرية، لا أساس لها من الصحة؛ ويتعجب كيف يصدق الملك والشعب الإسباني –وهم من أعقل الشعوب وأفطنها– مثل هذه التهمة، التي نُسجت في ضوء القمر؛ ثم يبين له، أن هناك سببان فقط، يقفان وراء هذه التهمة: الأول هي التخطيط لسلب أموال اليهود، التي كدّوا وتعبوا في جمعها، والثاني الكراهية الدينية؛ حيث يقول له:

"יבקשו עילה למלא חסרונם בעמל אחרים, ולא מצאתי להם התנצלות אלא כי גם יש בזה שנאת הדת! לכן יבקשו להפיל היהודים העם השפל מאשר ימצאו"[3]

" يفتعلون ذريعة لسد حاجتهم بتعب الآخرين، ولم أجد لهم عذرا سوى أن في ذلك أيضا نوع من الكراهية الدينية، ولذلك يطلبون إسقاط اليهود الشعب المسكين أينما وجدوهم"

ثم يأخذ، بعد ذلك، في بيان الحجج والبراهين، التي تدفع هذه التهمة عن اليهود؛ وهو لا يعوّل كثيرا على التراث اليهودي، وإنما يعول على القرائن العقلية؛ فيضع المقدمات، حتى يصل إلى النتائج؛ فيذكر أولًا أن النفس الإنسانية، تأبى كل ما لم تألفه بالعادة، مثلما يأنف المسيحي مثلًا، من لحم الكلب أو السنور؛ في حين أنه يأكل لحم الخنزير؛ ومثلما يأنف اليهودي من الخنزير، بينما يأكل الطير الذي يأكل الدود والحشرات؛ وعليه، فإن اليهودي يأنف الدم بحكم العادة والطبيعة؛ حيث يقول ابن فرجا:

---

(1) عيد الفصح "חג הפסח": ويحل هذا العيد في الخامس عشر من شهر نيسان، بمناسبة خروج بني إسرائيل من مصر، وخلاصهم من الذل والعبودية. ومن أهم الطقوس المميزة لهذا العيد، هو تناول الفطير الذي يُخْبز قبل أن يختمر، محاكاة للظروف التي عايشها بنو إسرائيل لحظة خروجهم من مصر؛ حيث تُشير التوراة إلى أنهم كانوا على عجلة من أمرهم، ولذلك تناولوا الخبز قبل أن يختمر. ولذلك أطلقوا على هذا العيد أيضًا اسم "عيد الفطير" "חג המצות". ويُطلقون عليه أيضا اسم "חג האביב" "عيد الربيع" وذلك لأنه يوافق الاحتفال بأعياد الربيع لدى الأمم والشعوب القديمة. ينظر:

أ. د.سامي الإمام، الفكر العقدي اليهودي "موسوعة الجيب"، مطبعة الرحمة، 2010م، ص 244، 245.

ب. د. رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002، ص 250.

(2) ينظر: אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' י.

(3) שם, עמ' יג.

"שאם יאמרו לנוצרי שיאכל מבשר הכלב או החתול — ירוק ויברח משם, כמו שבורח היהודי מאכילת החזיר או החלב! והנה בשר החזיר נאות הוא למזג אדם וטבעו, ולמה יברח!- ואם מפני שהוא משוקץ ומטונף במאכלו — למה יאכל התרנגולת האוכלת התולעים שבאשפות וכל מין שקץ? והחלב הוא המשובח שבחי, אלא מפני שלא הורגל לאוכלו! וכן מפני שחל עליו מאמר האל"[1] .

"وعلى ذلك لو طلبوا من نصراني أن يأكل من لحم الكلب أو السنور فإنه يتقيء ويفر هاربا من هناك، كما يفر اليهودي من أكل الخنزير والشحم، مع أن لحم الخنزير ملائم لمزاج الإنسان وطبيعته، فلماذا يفر هاربا؟ فإن كان بسبب أنه كريه ومدنس في مأكله فلماذا يؤكل الدجاج الذي يأكل الدود في القمامة وكل نوع من أنواع الدويبات؟ والشحم هو أحسن ما في الحيوان، ولكن بسبب أنهم لم يعتادوا أكله! وكذلك لأنه قد حق عليه قول الرب"

أما الحجة الثانية، فهي أن اليهود هم أجبن الخلق، فكيف يجرؤ يهودي، أن يقتل مسيحيًّا على أرضه، ووسط وطنه وأهله؟ ويذكر أن جبنهم لا يوصف، لدرجة أنه لو صادف مائة يهودي في الشارع، وخرج عليهم طفل مسيحي، وقال لأحدهم: قم؛ لفروا جميعا، من أمام هذا الطفل هاربين؛ حيث يقول ابن فرجا:

"ומה נאמר ממורך לבבם, שאם ימצאו ברחוב מאה יהודים ויבוא נער קטן נוצרי ויאמר: קום על היהודי! יברחו כלם. ואם יוציאו שופטיך אדם להריגה במשפט ודין — יברחו כלם משם, כי אין טבעם סובל ראות הריגה אפילו משונאיהם. וזה מפני שקללם האל, כמו שאמר הברייא: "והבאתי מורך בלבבם ורדף אותם קול עלה נדף"[2]

" كما أن جبنهم لا يُوصف، فلو كان هناك في الشارع مائة يهودي وجاء ولد صغير مسيحي وقال لليهودي: قم؛ لفروا جميعا هاربين! ولو أصدر قضاتك حكما بالإعدام على شخص بالعدل والقضاء، فإنهم يفرون جميعا هاربين من هناك، لأن طبيعتهم لا تتحمل رؤية القتل حتى ولو كان لكارهيهم. وهذا لأن الرب قد لعنهم، حيث جاء في الكتاب المقدس: "ألقى الجبن في قلوبهم... فيهزمهم صوت ورقة مندفعة" (اللاويين 26 / 36)."

أما من ناحية الشريعة، فيذكر توماس، أن الشريعة اليهودية، قد حظرت أكل دماء الحيوانات والأسماك، أو شربها، حظرا تاما؛ وهو من الأمور المكروهة في اليهودية، كراهة تامة؛ لدرجة أن اليهودي، لو خرج من بين

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יג.

[2] שם, עמ' יד.

أسنانه دم؛ وهو يتناول الطعام، فإنه يرميه؛ ودم الآخرين، أكره إليه من دم نفسه؛ كما نهت اليهودية عن ذبح الحيوانات بسكين تالفة، لئلا تتبقى بعض الدماء، في جسم الحيوانات؛ وكل ذلك ينفي عن اليهودي هذه التهمة؛ حيث يقول ابن فرجا:

"והנה היהודי ראינו שאינו אוכל דם משום חי, ואפילו מן הדגים, שאמרו התלמודיים שלא יקרא דם, אסרוהו לשתותו, והוא מאוס בעיניהם מאד, מפני שלא הורגל בו, ואפילו שראה כמה עמים אוכלים הדם, וכל שכן שימאס דם האדם, שלא ראה שום אומה שיאבלנו"[1]

"وقد رأينا أن اليهودي لا يأكل دما من أي حيوان، ولو من الأسماك؛ حيث قال حاخامات التلمود: "لئلا يدعى دما"؛ وحرموا شربه، وهو كريه في نظرهم، لأنهم لم يعتادوا عليه، وحتى لو رأوا شعوبا كثيرة تأكل الدم، وكذلك يبغض دم الإنسان كل من لم ير أمة تأكله."

فيذكر الملك أنه يتفهم الموقف، ويعلم علم اليقين براءتهم؛ ولكنه يريد أن يعرف، بماذا يرد على الشعب، الذي يصفه بالجاهل، وكيف يهدأ من روعهم؛ فيرد عليه "توماس" الذي يفهم عقلية الشعب، وأن ثمة دوافع مالية ودينية، هي التي تحركهم، ويطرح عليه حلا للمسألة؛ قائلا:

"עצתי שתכריז במלכותך, שכל הנחלות שבאו ליהודים מכח הרבית שיחזרו לבעליהם, וזה כפי ראות שופטי הארץ. ועוד, ששום יהודי לא ילבש משי, ועוד, שישאו חותם אדום לשיכירו שהם יהודים."[2]

"أرى أن تعلن في جميع أرجاء مملكتك أن جميع الضيع التي استحوذ عليها اليهود بقوة الربا يجب عليهم إعادتها مرة ثانية لأصحابها؛ وذلك وفقا لرؤية قضاة المملكة. وكذلك ألا يلبس أي يهودي حريرا، وأن يحملوا شارة حمراء يعرف منها أنهم يهود."

وبينما هما يتحدثان، إذا بجماعة تدخل عليهما، زاعمين أنهم قد عثروا على قتيل مسيحي، في بيت رجل يهودي؛ مدّعين أن اليهود قد قتلوه، لأخذ دمه؛ فصرخ فيهم توماس، قائلا:

"כבר ידע המלך החולי המגיע אתכם, ושהדין עמכם, שהיהודים הארורים לקחו ממונכם ונחלתכם, והוא כבר צוה שיחזרו נחלתכם לכם, ומי שהכביד הרבית עליכם שיחזירהו, ולא ילבשו משי ולא לבושכם, ודי לכם בתועלתכם, ולא תבקשו מה שהוא קלון לכם, ולא תלכו אחרי ההבל ותהבלו"[3]

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יד.

[2] שם, עמ' יז.

[3] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יח.

"لقد علم الملك المرض الذي يُصيبكم، وأن الحق معكم، وأن اليهود الملعونين قد أخذوا أموالكم وضيعكم، وهو قد أمر بأن يعيدوا إليكم ضيعكم ومن أثقل عليكم الربا سيعيدها لكم ولن يلبسوا حريرا ولا ثيابا مثل ثيابكم. وكفاكم منفعتكم، ولا تطلبوا ما هو عار لكم ولا تسيروا خلف الباطل فتفزعوا".

وحينما سمعوا هذا القرار، سعدوا سعادةً غامرةً؛ ولكن الملك، أبى أن يرد إليهم شيئا، قبل أن يخبروه بحقيقة القتيل، الذي عثروا عليه، في بيت اليهودي؛ فأخبروه بأنهم قد وجدو هذا القتيل في الشارع، وأنهم أخذوه، وألقوه في بيت اليهودي؛ حيث قالوا للملك:

" חלילה לאדוננו! אבל מצאנוהו הרוג ברחוב העיר בלילה, ואמרנו לרואים שבועתנו להוליכו לבית הקברות, והשלכנו אותו בבית היהודי, ושלשה חשובי העיר יש לנו לעדים."[1]

"حاشا لله! كنا وجدناه مقتولا في شارع من شوارع المدينة وأقسمنا للمارة أننا سنذهب به إلى المقابر لدفنه، ثم أخذناه ورميناه في بيت اليهودي، ومسئولي المدينة الثلاثة على ذلك من الشاهدين"

ففرح الملك ببراءة اليهود؛ كما أمر بأن تُكتب هذه الحادثة، في كتاب أخبار الأيام.

ويتضح من ذلك أن "فرية الدم"، كانت متعلقة من ناحية، بالظروف المالية والربوية؛ والتي أدّت في النهاية، إلى استحواذ اليهود، على أموال الشعب، وأرضه، في إطار من القانون، الذي كان يسمح بذلك؛ والذي أجبر الشعب، على أن يبحث عن حيلة أخرى، يسترد بها أمواله، وأرضه، من اليهود؛ حيث نجد الشعب يشتكي للملك، من استحواذ اليهود على أموالهم بالربا، قائلين له:

"ואדוננו חכם כמלאך אלהים ויודע מכאובינו, כי היהודים אכלונו הממונו, ובעד הרבית לקחו אפילו את בקרינו, עד שלא נשאר במה לחרוש שדותינו, ובקשנו אולי יגרשם אדוננו ממלכותו"[2]

"وسيدنا حكيم كملاك الرب، ويعرف أوجاعنا، وأن اليهود قد أكلونا ودمرونا وأخذوا حتى أبقارنا بالربا، ولم يبقى لنا ما نحرث به حقولنا وقد أردنا أن يطردهم سيدنا من مملكته"

ومن الناحية الثانية، كانت "فرية الدم"، أيضا، متعلقة بوضع الطائفة اليهودية، في إسبانيا المسيحية؛ خصوصا فئة التجار والمرابين، الذين كانوا لا يظهرون أمام الشعب، إلا في أبهى حلة، وفي أفضل ثياب؛ وهو ما خلق نوعا من الحقد الاجتماعي؛ ولذلك، حينما سمعوا أن الملك، سوف يرد إليهم أموالهم وأرضهم، وأنه لن يسمح لليهود بلبس الحرير، وأنه سيجعلهم يلبسون ثيابا مميزة خاصة بهم، وحدهم؛ فرحوا وهدأ روعهم. وهذ هو الأمر الذي كان يسعى إليه الملك، منذ البداية، وهو تهدئة الجمهور، الذي اتهمه بمحاباة اليهود.

---

[1] שם, עמ' יט.

[2] שם , עמ' יח.

ثانيا: كراهية عامة الشعب لليهود وأسبابها:

ومن الظواهر الاجتماعية، المثيرة للانتباه، والتي تناولها ابن فرجا، أيضًا، هي ظاهرة "שנאת היהודים" "كراهية اليهود"، والأسباب المؤدية لتلك الكراهية؛ حيث يطلب الملك من توماس، أن يوضّح له أسباب كراهية اليهود؛ فيذكر توماس أن "كراهية اليهود"، ظاهرة موجودة فقط، في أوساط العامة من الشعوب[1]؛ أما العقلاء، والذين يقصد بهم الملوك، والطبقات العليا، فهم لا يكرهون اليهود، وإنما يحبونهم ويقرّبونهم. وقد قدّم توماس تحليلا شافيا أمام الملك، للأسباب المؤدية لكراهية الشعب لليهود؛ والتي تمثلت، على حد اعتقاده في ثلاثة أمور، هي على النحو التالي:

(أ) حب اليهود للسلطة والسيادة:

حيث يوضح توماس للملك، أن حب اليهود للسلطة والسيادة، قد دفعهم إلى التكالب على تقلد المناصب، وشغل الوظائف، في الممالك الإسبانية المسيحية؛ وهو الأمر الذي ولّد الحقد والضغينة، في نفوس عامة الشعب، تجاه اليهود، الذين كانوا ينظر إليهم، في الواقع، نظرة ازدراء واحتقار؛ وقد كان ذلك مبررا لكراهية اليهود؛ حيث نجد توماس، يقول للملك:

"היהודי הוא בעל גאוה ומבקש תמיד להשתרר, ולא יחשבו שהם גולים ועבדים דחופים מגוי אל גוי! אבל להפך שיבקשו להראות עצמם אדונים ושרים, לכן העם מקנא בהם." [2]

"اليهودي دائما فخور بنفسه ويطلب دائما السيادة ولا يفكرون أنهم عبيد منفيون تتدافعهم الأمم. ولكن العكس يريدون دائما أن يظهروا أنفسهم أسيادا ووزراء ولذلك يكرههم عامة الشعب"

(ب) التباهي بالثياب الفاخرة:

حيث يوضح توماس للملك، أن اليهود، حينما قدموا إلى الممالك المسيحية، في إسبانيا، لم يكونوا يملكون شيئا؛ وطوال تلك الفترة، لم يكن ثمة "كراهية لليهود"؛ ولكن حينما اغتنوا، وازدادوا ثراء؛ بانت عليهم مظاهر

---

[1] الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة هي التي أصبح يطلق عليها "אנטישמיות" "معاداة السامية" من المصطلح الإنجليزي "Anti-Semitism" ، وقد ظهر لأول مرة على يد الكاتب الألماني "ولهلم مار" حوالي سنة 1880م، وقد اتُخذت معاداة السامية ذريعة للمطالبة بوطن قومي لليهود في فلسطين، بحجة أن اليهود مضطهدين في كل مكان، ولإنهاء هذه المسألة يجب أن يعودوا إلى (أرضهم) في (فلسطين)؛ كما صارت "معاداة السامية" أيضا تهمة تُلصق بكل من يتعرض للكيان الصهيوني بالنقد، سواء من العامة أو الخاصة. ينظر حول "معاداة السامية":

1. د.سيد فرج راشد، دراسات في الصهيونية وجذورها، دار المريخ، الرياض، 1991م، ص 82، 83.
2. د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، 1985م، ص 77 وما بعدها.

[2] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' טז.

الأبهة والثراء، وتولوا المناصب العليا، والوظائف الرفيعة، ولبسوا الحرير والديباج، أظهروا الكبر والفخر على الشعب؛ بل وبدأوا يعاملون العامة من الشعب، معاملة غليظة قاسية، وصلت في بعض الأحيان إلى حد الضرب؛ وهنالك ظهرت "كراهية اليهود"، وأخذ العامة يلفقون لهم التهم، لعلهم يستطيعون طردهم من المملكة. ومما يقوله توماس للملك:

"ועתה היהודי משתרר, ואם יש לו מאתים זהובים מיד לובש בגדי משי ולבניו רקמה, מה שלא יעשו השרים אשר להם הכנסה אלף כפולות לשנה, לכן מעלילים עליהם אולי ימשך לגרשם מן המלכות ומגאות היהודים באו בעיר טולידו לשררה כל כך עד שהם היו מכים בנוצרים, ומכריזין גדולים שבהם, שמי שיכה לנוצרי יוסר בדיניהם " [1]

" أما الآن فاليهودي ما إن يتولى السلطة، ولو كان يملك مائتين من الذهب فإنه يلبس من فوره ثيابا من الحرير ويكسي أولاده ثيابا مزركشة، وهو ما لا يفعله الوزراء الذين يتجاوز دخلهم الألف مضاعفا في العام؛ ولذلك فإنهم يرمونهم بالتهم لعل ذلك يؤدي إلى طردهم من المملكة."

والكراهية التي تأتي من باب الحقد والحسد، لا شفاء لها؛ حيث يقول توماس للملك:

"ואמר החכם, שהשנאה הנמשכת מצד קנאה אין לה תקנה כל ימי עולם"[2]

"وقال الحكيم إن الكراهية التي تأتي بسبب الحقد لا علاج لها أبدا."

(ج) الإقراض بالربا:

وهي من الوظائف التي امتهنها اليهود، في إسبانيا المسيحية، وبرعوا فيها، براعة منقطعة النظير. وقد استطاعوا من خلال معاملاتهم الربوية، الاستحواذ على أموال الشعب وأراضيهم؛ وتُشير المراجع إلى أن الإقراض بالربا، لم يكن محرما بين أتباع الديانة الواحدة[3]؛ ولذلك لجأ كثير من التجار المسيحيين، لاستثمار أموالهم في

---

[1] שם, עמ' טז.

[2] שם, שם.

[3] جوزيف بيريز، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة: مصطفى أمادي، ص 16.

ومن الجدير بالذكر، أن القانون كان قد حدد سعر الفائدة بنسبة 20 % في مملكة أراجون، وبنسبة 33.3 % في مملكة قشتالة، وما زاد على هذه النسب المقدرة كان يعد ربا. وكان المدينون يقومون باقتراض مبالغ قصيرة على فترات قصيرة، من ستة أشهر إلى سنة، وكان الواجب عليهم سدادها قبل انقضاء ست سنوات. وفي فترات الركود، كان الدائنون يقومون باستعجال أموالهم،

عمليات الإقراض بالربا، عبر اليهود؛ فكانوا يقومون بإقراض أموالهم لتاجر يهودي، بفائدة ضئيلة؛ وفي الوقت نفسه، كان يقوم هذا التاجر اليهودي، بإقراض هذه الأموال للمسيحيين بفائدة أكبر؛ وهكذا تركزت العملية الاقتصادية، للاستثمارات، والإقراض بالربا، في يد اليهود[1].

وفي كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" نجد توماس، يذكر للملك، أن اليهود حينما قدموا إلى المملكة، كانوا فقراء، ولم يكونوا يملكون شيئا من المال؛ ولكن سرعان ما اغتنوا، وزادت ثرواتهم، بشكل كبير، جراء الإقراض بالربا؛ لدرجة أنهم كانوا أنذاك، يستحوذون على ثلاثة أرباع العقارات، والضيع في إسبانيا، من الاشتغال بالإقراض بالربا؛ حيث يقول له:

"ויראה אדוננו שלשה חלקי הקרקעות והנהלות אשד בספרד כלם הם היום בידי היהודים, וזה מצד הרבית הכבד."[2]

" كما أنهم ازدادوا ثراء من الربا ويشاهد الملك الآن أن ثلاثة أجزاء العقارات والإدارات في إسبانيا كلها اليوم بيد اليهود بسبب الربا الفاحش"

وحينما يسأل الملك توماس، كيف تسمح التوراة لليهود بسلب الأموال والحقوق، عن طريق الإقراض بالربا؛ نجد "توماس" يخبره بأن طمع اليهود وجشعهم، هو الذي دفعهم لأن يفسّروا التوراة، وفقا لأهوائهم وأغراضهم؛ فالتوراة حينما قالت: "للأجنبي تقرض بالربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا"[3]. لم تكن تقصد المسيحيين؛ لأن المسيحيين هم من نسل عيسو[4] أخو يعقوب جد اليهود؛ حيث يقول توماس:

وحينما يعجز المدينون عن السداد، كانوا يقدمون إلى المحاكم؛ وهو ما أدى إلى اكتظاظ المحاكم بكثير من الشكاوى في كثير من الأحيان؛ الدائنون يطالبون باستعادة أموالهم، والمدينون يزعمون أنهم وقعوا ضحايا المعاملات الربوية. ينظر:
_المصدر نفسه، ص 17.

(1) איגוס, אברהם יצחק: דברי ימי ישראל, חלק 2, עמ' 247.

(2) אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' טו.

(3) التثنية 23 / 21.

(4) عيسو: هو ابن إسحاق (عليه السلام) ورفقة، وتوأم يعقوب (عليه السلام) (التكوين 25 / 21 _ 26)؛ وسُمي بهذا الاسم لأنه ولد أحمرا مثل فروة الشعر (التكوين 25 / 25). وتذكر التوراة أنه كان يهوى الصيد، وأنه عاد من الصيد يوما جائعا فباع حق بكوريته لأخيه يعقوب بطبق من العدس الأحمر (المجدرة)؛ ولهذا سُمي بأدوم (التكوين 25 / 27 _ 24). كما تذكر التوراة أن إسحاق كان يفضل عيسو وأما رفقة فكانت تفضل يعقوب، وأن عيسو استطاع بحيلة بالاشتراك مع والدته رفقة في الحصول على بركة يعقوب قبل وفاته (التكوين 27 / 1_ 31 / 55). ينظر: بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، مصر، الطبعة الحادية عشر، 1997م، ص 649.

"חלילה שתורתם התירה להם, אבל היהודים בעלי חמדה ועשו פירוש להנאתם, כי הבריבייא אומר: "לנכרי תשיך", והנכרי רוצה לומר מי שאינו מאמין שום אמונה, ואומר: "ולאחיך לא תשיך ואנו עם היהודים אחים אנחנו, שכן אמר הנביא: "הלא אח עשו ליעקב" [1]

"حاشا لله أن تسمح لهم التوراة بذلك، ولكن اليهود طماعين، وقد فسروا التوراة لصالح منفعتهم، لأن الكتاب المقدس يقول: "للأجنبي تقرض بالربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا"؛ والمقصود بالأجنبي هو الذي لا يؤمن بأي عقيدة؛ وقوله: "ولأخيك لا تقرض بربا" ونحن إخوة اليهود، وهكذ قال النبي:"أليس عيسو أخا يعقوب"[2].

(د) الامتناع عن تناول الطعام مع المسيحيين:

حيث تحظر اليهودية، تناول أي طعام أو شراب، أعده شخص من الأغيار، حتى ولو كان معدا وفقا للشريعة اليهودية[3]. كما تحظر اليهودية، أيضًا، تناول الخمر التي أعدها وثني، أو قام بلمسها. وقد أرجعوا السبب في ذلك، إلى أنه قد يكون قد خصصها لألهته. وينطبق هذا التحريم على المسيحيين أيضا، بل وبالغوا فيه، لدرجة أنه لو فتح مسيحي زجاجة الخمر، وجب سكبها[4].

لقد أدى نفور اليهود، من تناول الطعام، مع جيرانهم المسيحيين، وعدم الاختلاط بهم، إلى مزيد من العداوة والكراهية؛ ويُبيّن توماس للملك، أن لهذا العامل دور كبير، في كراهية اليهود؛ لأنه ليس ثمة ما يؤلف القلوب، أفضل من اعتياد تناول الطعام والشراب معا، حتى أنه يقال أنهم في إحدى البلدان لا يحلفون إلا بالطعام الذي يتناولونه معا. فيقول له:

"ואין דבר מקרב הלבבות הרחוקות כהרגל האכילה אלו עם אלו, עד שיש מקום באיים שאין שבועתם אלא על הלחם שאכלו יחד"[5]

"وليس هناك شيء يؤلف القلوب البعيدة، مثل اعتياد تناول الطعام والشراب معا؛ حتى أن هناك مكانا في الجزر البعيدة، لا يحلفون إلا بالخبز الذي يأكلونه معا."

فيبدي الملك استياءه من هذا الأمر، ويقول لتوماس، أنه كاد في إحدى المرات، أن يُبيد اليهود من مملكته، أو يطردهم منها، بسبب أنه سمع أنه لو وقعت (حشرة) في كأس يهودي؛ فإنه يُخرج الحشرة، ويرميها بعيدا، ثم يكمل شرابه؛ أما لو مس أحد من المسيحيين هذا الكأس، فإنه يسكب ما فيه، ويمتنع عن شربه، كما لو كانوا

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יח.

[2] ملاخي 1 / 2.

[3] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 5، ص 209.

[4] المصدر نفسه، ص 210.

[5] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יז.

أنجاسا في نظرهم؛ فيرد عليه توماس، مبررا هذا الصنيع؛ بأن عامة اليهود لا ذنب لهم في ذلك، وإنما الذنب على "حاخامات التلمود"؛ فهم الذين شرّعوا هذا الأمر، وتشددوا فيه، وقيدوا اليهود بأغلال من حديد، ولم يتركوا لهم متنفسا في هذا الأمر؛ حيث يقول له:

"אין ליהודים בזה אשמה אלא על התלמודיים, ששמו כבלי ברזל לרגליהם והחמירו בעניינים עד שלא השאירו מחיה, האמת שהבריבייא אומרת: "אשר חלב זבחימו יאכלו ישתו יין נסיכם", ולא הבינו שזה מדבר על הזבחים והנסכים שהיו עושים לשמש ולירח קודם שבא ישו לעולם, באו התלמודיים ואמרו, כי כל יין שנתנסך לאיזו עבודה חוץ ממקום מקדשם אסור, והחמירו עוד שאעפ"י שלא ידעו שנתנסך שעל הספק יהא אסור"[1]

"ليس على اليهودي ذنب في ذلك وإنما الذنب على حاخامات التلمود، الذين قيّودهم بأغلال من حديد، وتشددوا في أمور حتى لم يتركوا متنفسًا، والحقيقة إن الكتاب المقدس يقول: "التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم" (التثنية 32 / 38) ولم يفهموا أنه يتحدث هنا عن الذبائح والسكائب التي كانوا يصنعونها للشمس والقمر قبل أن يأتي يسوع إلى العالم؛ فجاء التلموديون وقالوا بتحريم كل خمر سكب لأي عبادة باستثناء الهيكل فهو محظور"

ثم يروي له واقعة، حدثت في عهد أبيه الملك؛ تتمثل في أنه كان هناك طبيب يهودي، في بلاط والده الملك؛ فقال له الملك الوالد يوما: "سمعت أننا أنجاس في نظركم، ولذلك تحترزون من مخالطتنا، كان الرب معكم!"؛ فقال الطبيب: "أنت يا مولانا مريض ولا عمل لي سوى طلب علاجك، فليحضروا لي ماء لغسل قدم سيدي لأنه مفيد، ثم أُرد بعد ذلك على السؤال". وبعد أن غسل قدم الملك، شرب من تلك المياه؛ فقال الملك: "لقد أجبت عن سؤالي!" فقال الوزراء: "لم نفهم شيئا!" فقال الطبيب: "أيهما أشد نجاسة، ما غُسلت به قدم الإنسان، أم ما مسّ يده وفمه؟ فإن كان الأمر من ناحية النجاسة فكيف شربتُ ماء الغسل؟"[2]

حيث يتضح من هذه الواقعة أن بعض اليهود؛ خاصة "يهود البلاط"، لم يكن لديهم غضاضة في التخلي عن تعاليم التوراة والتلمود، وذلك في مقابل الحفاظ على مكاسبهم المادية، ومناصبهم الرفيعة التي وصلوا إليها في قصور الملوك الكاثوليك؛ وبالتالي لم يكن لديهم أدنى مشكلة في تناول الطعام أو الشراب مع المسيحيين.

ثالثا: اليهود "عبيد الملك" و "عبيد الخزانة الملكية":

---

[1] שם, עמ' יז.

[2] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יז.

لقد شاع مصطلح "עבדי המלך" "عبيد الملك" أو "עבדי האוצר" أو "عبيد الخزانة الملكية" للإشارة به إلى اليهود في العصور الوسطى؛ وهو يعني أنهم ملكية خاصة للملك، وأنهم ينعمون بحمايته ورعايته، وبمزايا كثيرة أخرى، تمنع أي سلطة أخرى في المملكة، من التعرض لهم سوى "البلاط الملكي"[1].

ونظرا لأن الطوائف اليهودية، كانت مصدرا أساسيا للثروة؛ حيث كان من الواجب على كل عضو من أعضائها، أن يقوم بدفع مبلغ من المال، لصالح الخزانة الملكية؛ كما كان المسيحيون يرسلون ضريبة الرؤوس إلى الملك، من خلال اليهود؛ لذلك حرص الملوك على العناية باليهود، وألا يعانوا الفقر والحاجة[2].

وتُشير المصادر العبرية إلى أن ملوك إسبانيا "لم يستعملوا مصطلح "عبيد الملك" إلا حينما كانوا يريدون الدفاع عنهم، من بطش الأمراء والنبلاء، ومن الكنيسة المسيحية، ومن المدنيين؛ حينئذ كان الملوك يُظْهِرون، أن اليهود ملكية خاصة بالخزانة الملكية، وكل من يتعرض لهم بأذي، فهو يتعرض لأموال المملكة."[3].

ويظهر الملك ألفونسو في مستهل "الاضطهاد السابع" "השמד השבעי" قلقا، بشأن يهود مملكته، حريصا أشد الحرص على عدم المساس بهم، أو إلحاق أي أذى بهم؛ حيث يقول لتوماس:

"בואך לשלום לחצרות גדולתנו ובעצתך תנחני ותצילני מבא בדמים או להזיק לעם היהודים"[4]

"نزلت أهلا ببلاط حضرتنا! وبمشورتك تهديني وتنقذني من أن أهلك أو أؤذي الشعب اليهودي"

ثم يُعلل الملك هذا القلق والاهتمام لاحقا، بسبب كونهم عبيدا للملك؛ حيث نجده يقول لتوماس:

"ואם יש בהם עון כזה– אגרשם מארצי, ואם שקר– אשים נפשי להצילם, כי עבדי הם"[5] "فإن كان فيهم ذنب مثل هذا أطردهم من أرضي، وإن كان كذبا، أفديهم بنفسي لأنهم عبيدي."

ولأنهم عبيد الملك وخاصته، فإنهم يحظون باهتمام الملك ورعايته دائما، بل إنه يلجأ في بعض الأحيان إلى مناصرتهم، والدفاع عنهم، أمام عامة الشعب ورجال الدين في مملكته. وحينما يبيّن "توماس" للملك أن المسيحي لا يُعدّ "أجنبيًّا" في نظر اليهودي؛ لأنه يؤمن بوجود الإله، وبالنبوة، وبالثواب والعقاب، وبحداثة العالم، وبالمعجزات الإلهية؛ نجد الملك يسعد بهذا الكلام سعادة غامرة؛ ويقول لتوماس:

---

(1) ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج 2، ص 280.

(2) أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2002م، ص 574.

(3) איגוס, אברהם יצחק: דברי ימי ישראל, חלק 2, עמ' 245.

(4) אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' י.

(5) אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' יא.

"שמחתי מאד בדבריך.... ומעתה תרעומת יש לי נגד עמנו, שכיון שיש ליהודים חקים ומשפטים צדיקים ומדות חשובות, כמו הנדיבות והצדקה והרחמנות, והיותם עם פקח— למה ישנאו אותם? וכן לא יעשה מי שאוהב האמת!"[1]

" لقد سعدت جدا بكلامك... ولي عتاب وشكوى الآن ضد شعبنا، فإذا كان لليهود قوانين وأحكام عادلة وفضائل عظيمة مثل الكرم والإحسان والعطف مع كونهم شعب ذكي فطن؛ فلماذا إذًا يكرهونهم؟ فكذلك يفعل كل من لا يحب الحقيقة!"

فالملك يتعجب من كراهية عامة الشعب لليهود، مع أن لهم قوانين عادلة وفضائل عظيمة، ويعدّ ذلك مجافيا للحقيقة؛ وأنهم لا يجدر بهم هذا الصنيع، لما تقدم –على حد قوله– من فضائل اليهود.

ولا شك أن ذلك كله كان نابعا من ارتباط اليهود بالملك، ومن منطلق أن اليهود هم "عبيد الملك" أو "عبيد الخزانة الملكية"؛ ولذلك كان من الواجب الدفاع عنهم من أي خطر يحدق بهم، سواء من عامة الشعب أم من رجال الدين.

رابعا: اليهود هم الذين جلبوا الشر على أنفسهم:

حيث يذكر توماس للملك، أن اليهود هم الذين كانوا يجلبون على أنفسهم الشر، طوال تاريخهم؛ وأنهم هم الذين "يخربون بيوتهم بأيديهم"؛ وذلك جراء حبهم للسلطة والسيادة، وميلهم إلى النزاع عليها؛ ويورد توماس للملك على ذلك، أمثلة كثيرة، من تاريخ اليهود، منها على سبيل المثال، أنه في زمن يربعام بن نباط[2]، جاء اليهود إلى "رحبعام بن سليمان"[3] يطلبون منه أن يخفف عنهم أثقال الضرائب التي كان قد فرضها عليهم "سليمان

---

[1] שם, עמ' טו.

[2] يربعام بن نباط: وهو من سبط أفرايم، عاش في زمن سليمان، وكان من عبيده (الملوك الأول 11 / 26)، وتذكر التوراة أن سليمان قد استعمله على بيت يوسف، أي على جميع الأسباط الشمالية (الملوك الأول 11 / 27 و 28)؛ ولكنه سرعان ما تمرد على سليمان، وتآمر على قتله؛ ولكن سرعان ما انكشفت المؤامرة، وهو ما اضطر يربعام للهروب إلى مصر، قي فترة حكم الملك شيشنق (الملوك الأول 11 / 26 و 27). وبعد موت سليمان عاد يربعام بن نباط إلى فلسطين، وتزعم الأسباط العشرة الشمالية، وانفصل بها، وذلك بعد أن "رحبعام بن سليمان" تخفيف الضرائب عن كاهل بني إسرائيل. وتأكيدا لهذا الإنفصال، فقد قام ببناء معبدين، الأول في دان والثاني في بيت إيل لمنع يهود الأسباط الشمالية من الحج إلى هيكل أورشليم، ونصب فيهما عجلين من الذهب. ينظر:

– وليم وهبه بباوي وآخرين، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، ط 2، جـ 8، 2005، ص 257.

[3] رحبعام بن سليمان"רחבעם בן שלמה": ولد حوالي 917 ق.م وملك بين سنوات 930 _ 914 ق.م. وتذكر التوراة أنه تولى عرش المملكة عقب وفاة أبيه مباشرة، وأنه توجه شمالا إلى شكيم لإجراء حوار مع الأسباط الشمالية، التي كانت فيما كانت رافضة لتوليه الملك؛ وفي النهاية قبلت الأسباط الشمالية ملك رحبعام ولكن بشرط أن يخفف عنهم الضرائب الكثيرة التي كانوا

(عليه السلام)؛ ولكنه أغلظ لهم القول، وقال لهم: " أبي ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب[1]"

ويذكر ابن فرجا أن هذا الأمر، قد أدى إلى انشقاق في صفوف اليهود، وانقسام مملكة داود وسليمان إلى قسمين، وقد استعان فيه يربعام بشيشنق ملك مصر، على رحبعام بن سليمان، وأطلعه على عورات اليهود، وعورات البلاد؛ وقد دارت بين الطرفين حروب طويلة، وفعل اليهود ببعضهم، ما لم يستطع الغريب أن يفعله بهم[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن يربعام بن نباط، حينما انفصل بأسباط الشمال، قام ببناء معبدين الأول في دان والثاني بيت إيل، بدلا عن "هيكل سليمان" في الجنوب؛ كما قام بتزويدهما بعجلين من الذهب؛ خوفا من ارتداد الأسباط الشمالية إذا ما صعدوا للحج في هيكل أورشليم[3]؛ ثم يعقب توماس على هذا الكلام قائلا:

"ואביך המרומם כעס פעם אחת על היהודים, ורצה לאבדם, אמר לו יועץ אחד: הזהר, אדוננו! כי לא קם מלך במחשבה זו שלא נפל, ואם תרצה להנקם מהם צוה שיכנסו כלם בעיר אחת ואין זר בתוכה, ושישימו ראשם עליהם, ותראה כי לעולם לא יסכימו בהסכמה אחת, ועל זה יהרגו אלו לאלו, וידך לא תהיה בהם"[4]

"وقد غضب والدك العظيم مرة على اليهود، وأراد أن يبيدهم، فقال له أحد المستشارين ... إن أردت أن تنتقم منهم مُرْهُم أن يدخلوا جميعا في مدينة واحدة ولا غريب بينهم، وحينما يجعلون رؤوساء عليهم، سترى أنهم لن يتفقوا أبدا على رأي واحد، ولذلك سيقتلون بعضهم بعضا، دون أن تلوث يدك"

وهذا إن دل فإنما يدل على عدم اتحاد كلمتهم، وانقسام صفوفهم، دائما وأبدا.

يدفعونها لأبيه سليمان، كما طلبوا منه أيضا أن يخفف عنهم عبأ الأعمال والأثقال التي كان سليمان قد فرضها عليهم، وهو ما قوبل بالرفض من رحبعام، حيث قال لهم: "أبي ثقل نيركم وأنا أزيد على نيركم. أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب" (الملوك الأول 12 / 14)؛ وفي قامت الأسباط الشمالية بخلع رحبعام بن سليمان، وقامت بتنصيب "يربعام بن نباط" ملكا عليهم بدلا منه. ينظر: ייבין, שמואל: האינציקלופדיה המקראית, ערך "רחבעם בן שלמה", הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1976, עמ' 347 _ 352.

[1] الملوك الأول 12 / 14.

[2] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ל.

[3] ينظر: مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، 1995م، ص 96.

[4] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' ל.

وفي زمن الهيكل الثاني، يذكر ابن فرجا، أنه كان هناك كاهن يُدعى "منسا"، وكان متزوجا من امرأة مؤابية، مخالفا أمر عزرا، الذي حظر الزواج من المؤابيات؛ وحينما طلب منه الكهنة تطليقها، أبى؛ فقام الكهنة بطرده من الخدمة في الهيكل. فقام منسا، بمساعدة صهره "سنبلط الحوروني"[1] ببناء هيكل آخر على جبل جرزيم[2]، ففرحت جميع المدن المجاورة بهذا الحدث؛ نظرا لما كانوا يلاقونه من عناء الصعود للحج إلى هيكل أورشليم، وبسبب المنافع المادية التي سوف تعود عليهم من الحجاج[3].

ويذكر ابن فرجا أن "منسا" هذا كان داهية، وأنه استطاع أن يجذب قلوب بني إسرائيل إليه، بعدما أعلن أنه لن يقدّم أي حاج للهيكل سوى ما يستطيع أن يقدّمه من الهبات والعشور؛ لأنه ليس للرب حاجة، فيما يقدّم إليه بالقوة الجبرية؛ فتحول جميع اليهود عن هيكل أورشليم، إلى هيكل جرزيم؛ لأنه على حد قوله:

"כי אין ליהודים דת בדבר שיש בו תועלת"[4] "لأنه لا دين لليهود في شيء ليس لهم فيه منفعة".

وعلى إثر ذلك، قامت بين الفريقين مقتلة عظيمة، بين حجاج هيكل أورشليم وحجاج الهيكل الجديد، وسقط من الفريقين أعداد كبيرة، كما خرج الكهنة القدماء ضد الكهنة الجدد، الذين عيّنهم منسا. وفي أيام الحج والأعياد، كان تسقط منهم أعداد كبيرة جدا، تقدّر بالآف. وقد دام هذا الهيكل حوالي 200 سنة؛ حيث قام ملك يهودي يُدعى هوركانوس بتدميره، وعاد اليهود –على نحو ما يذكر– إلى هيكل أورشليم؛ بعد أن سقط ثلث اليهود في تلك الحروب؛ حيث يقول:

---

[1] بعد عودة اليهود من السبي البابلي في زمن الفرس، سعوا إلى إقامة هيكل أورشليم، وإعادة بناء أسوار المدينة؛ ولكن هذه الأعمال قد قوبلت بالمعارضة والمقاومة من ثلاثة شخصيات، هي "سنبلط الحوروني" و "جشم العربي" و "طوبيا العموني"؛ وهو ما ذكرته التوراة بالتفصيل في سفري عزرا ونحميا. وقد كان "سنبلط الحوروني" هذا زعيما لطائفة اليهود السامريين، وهم الأسباط الشماليين، المعادين لسبطي يهوذا وبنيامين. وكانت هناك حروب دائمة لا تنقطع بين هذين الفريقين. ينظر: عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، منشورات فلسطين المحتلة، الطبعة الثانية، المجلد الثاني، د.ت، ص96 و 97.

[2] جبل جرزيم: جبل يقع بالقرب من شكيم (نابلس) حوالي 10 أميال جنوبي شرقي السامرة، وحسب التوراة، فهو من الأماكن المقدسة لدى اليهود واليهود السامريين، فبالقرب من هذا المكان أقام إبراهيم (التكوين 12 / 6) كما عاش فيها يعقوب وبنى هناك مذبحا للرب (التكوين 33 / 18) ودفن فيها بنو إسرائيل رفات يوسف عليه السلام بعدما أخرجوها معهم من مصر (يشوع 24 / 32). وعلى هذا الجبل جمع يشوع جميع أسباط بني إسرائيل وقرأ عليهم شريعة الرب. وعلى هذا الجبل أيضا وقف يوثام بن جدعون وروى لأهل شكيم مثل العوسج والأشجار الوارد في سفر القضاة (9 / 7). وعلى هذا الجبل، قام "منسى" بمساعدة صهره سنبلط الحوروني ببناء هيكل جرزيم (سنة 432 ق.م) لليهود السامريين، وقد قام يوحنا هيركانوس المكابي بتدميره سنة 110 ق.م. ينظر: وليم وهبه بباوي، دائرة المعارف الكتابية، المجلد الثاني، ص478، 479.

[3] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' לב.

[4] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' לב.

"ומזה נמשכו מלחמות בין היהודים העולים לירושלים ליהודים העולים אל המקדש החדש, והיו נופלים משתי הכתות עם רב, וכן הכהנים האמתיים היו יוצאים נגד הכהנים החדשים אשר עשה מנשה, ובזמן עלית החגים היו נופלים מהם לאלפים. ונמשך המקדש ההוא קרוב למאתים שנה, עד שקם מלך אחד, נקרא הורקנוס, ומלך חסיד היה ואוהב הדת, ויצא ונתץ המקדש ההוא והחריבו, ועשה הרג רב ושפטים גדולים, ושבו היהודים לירושלים, אבל נפלו במלחמות ההן השליש מן היהודים." [1].

"ومنذ ذلك الحين استمرت الحرب بين حجاج أورشليم وحجاج الهيكل الجديد، وسقط من الفريقين أعداد كبيرة، كما خرج الكهنة القدماء ضد الكهنة الجدد الذين عينهم منسا، وفي موسم الحج والعيد كان يسقط منهم أعداد كبيرة بالآف. وقد دام هذا الهيكل لمدة 200 عام حتى قام ملك يدعى هوركانوس وكان ملكا تقيا محبا للدين وخرج ودمر هذا الهيكل وخربه وصنع مقتلة عظيمة وعاد اليهود إلى أورشليم، ولكن سقط في تلك الحروب ثلث اليهود"

فاليهود هم الذين جلبوا على أنفسهم الويل والثبور؛ ومن يمعن النظر في هاتين الحادثتين، وهما من الحوادث الفارقة في تاريخ اليهود، سوف يدرك أن المال والمنفعة المادية، هي القاسم المشترك بينها، وأن اليهودي دائما ما يسعى وراء "منفعته الشخصية" حتى لو كان على حساب دينه ومعتقده؛ وهو ما أراد ابن فرجا أن يظهره ويؤكد عليه، من خلال سرد هاتين الحادثتين.

رابعا: النزعة اليهودية العنصرية:

تتميز الشخصية اليهودية بالعنصرية، وهي "عقيدة تستند إلى فلسفة مناقضة للدين والعلم، حول أفضلية العنصر اليهودي على من عداه من العناصر البشرية الأخرى"[2].

---

[1] שם, שם.

[2] أحمد بن عبد الله الزغيبي، العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ / 1998م، ص 64.

وتقوم العنصرية اليهودية على مجموعة من الأسس، المستمدة من التناخ "باعتبار أن اليهودية حالة خاصة تمتاز على سائر الأجناس البشرية"[1]؛ من حيث أن اليهود هم "شعب الله المختار"، وأنهم "أنقى السلالات البشرية"، وأنهم "أذكى شعوب الأرض"[2].

وتظهر هذه "الروح العنصرية" لدى شلومو بن فرجا في كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا"، وهي تتخذ عنده أشكالا مختلفة، منها:

(أ) الإدعاء بأن يهود إسبانيا من نسل الملوك:

فوفقا لابن فرجا، حينما دخل نبوخذنصر أورشليم(722 ق.م)، دخل على رأس حلف يضم نبوخذنصر وإشبان ملك إسبانيا وبيروس ملك اليونان؛ ويذكر ابن فرجا أن "أورشليم" كانت آنذاك مقسمة إلى ثلاثة أحياء، الأول للصناع والحرفيين، والثاني للكتاب والعلماء، والثالث للأمراء من نسل داود والكهنة. وحينما تم لنبوخذنصر السيطرة على القدس، رأى مكافأة إشبان وبيروس بجزء من السبي، نظير خدماتهما؛ فوقع حي الأمراء والكهنة من نصيب إشبان؛ فأحضر بعض السفن، وساق سبيه إلى إسبانيا القديمة، حيث استقر اليهود في إقليم أندلوسيا وطليطلة؛ ثم ما لبثت أن ازدات أعدادهم زيادة كبيرة جدا، فانتقل جزء من (نسل الملوك) إلى إشبيلية وجزء إلى غرناطة؛ حيث يقول:

"ומן המחיצה השניה לשלישית היו יושבים כל זרע המלוכה, משפחת דוד והכהנים משרתי מזבח. וכאשר נחלקה ירושלים בין המלכים האלה, לקח נבוכדנאצר השני מחיצות וכל עם שבסביבות ושאר המדינות והוליכך לפרס ומדי, והמחיצה השלישית נתן לפירוש ואישפיאן. ופירוש זה לקח ספינות והוליך כל השביה לספרד הישנה, היא אנדאלוזיאה, ולעיר טולידו, ומשם נתפזרו, כי רבים היו ולא יכלה אותם הארץ, והלכו קצת מזרע המלוכה לשבילייא, וגס משם הלכו לגרנאדה."[3].

"ومن الحاجز الثاني إلى الثالث كان يجلس جميع نسل الملوك، أسرة داود والكهنة وخدمة المذبح. وأما الحاجز الثالث فقد أعطاه لبيروس وإشبان. وبيروس هذا أخذ سفنا، وسار بكل السبي إلى إسبانيا القديمة، وهي إندوليسيا، وإلى مدينة طليلطة، ومن هناك انتشروا، لأن أعدادهم كانت كبيرة جدا، ولم تستطع الأرض أن تستوعبهم جميعا، وسار جزء من نسل الملوك إلى مملكة إشبيليه، كما ساروا من هناك إلى غرناطة"

---

[1] ينظر: أحمد بن عبد الله الزغيبي، العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، ص 70.

[2] ينظر: المرجع نفسه.

[3] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' כ.

وعند خراب الهيكل الثاني، كان قيصر روما يحكم جميع العالم، فأخذ من أورشليم أربعين ألف أسرة من سبط يهودا من أورشليم، ومن المدن المجاورة، وعشرة آلاف من سبط بنيامين ومن الكهنة، وأرسلهم إلى إسبانيا؛ التي كانت تقع تحت حكمه في تلك الآونة، وسار معظم سبط بنيامين والكهنة إلى فرنسا، مع قليل من أبناء سبط يهودا؛ حيث يقول:

"ובחרבן הבית השנית היה קיסר ברומי שהיה מושל בכל העולם, לקח מירושלם ארבעים אלף בתים משבט יהודה מירושלם ומן העיירות ועשרת אלפים משבט בנימין ומן הכהנים ושלחם לספרד אשר תחת ממשלתו בימים ההם. ורוב שבט בנימין והכהנים הלכו לצרפת ומעטים מבני יהודה, באופן שכל היהודים אשר במלכותך הם זרע מלוכה, ולפחות רובן משבט יהודה. ואיך יפלא אדוננו אם ימצא משפחה מיוחסת לדוד?" [1].

"وعند خراب الهيكل الثاني كان قيصر روما يحكم جميع العالم، فأخذ من أورشليم أربعين ألف أسرة من سبط يهودا من أورشليم ومن المدن المجاورة، وعشرة آلاف من سبط بنيامين ومن الكهنة، وأرسلهم إلى إسبانيا التي كانت تقع تحت حكمه في تلك الآونة، وسار معظم سبط بنيامين والكهنة إلى فرنسا مع قليل من أبناء سبط يهودا، وهذا ما يجعل جميع اليهود الموجودين في مملكتك هم من نسل الملوك، وعلى الأقل معظمهم من سبط يهودا! فكيف يتعجب سيدنا متى وجد أسرة تنسب إلى داود؟"

وهذا، وفقا لابن فرجا هو ما يجعل اليهود الموجودين في إسبانيا من نسل ملوك بني إسرائيل؛ حيث يقول للملك:

"באופן שכל היהודים אשר במלכותך הם מזרע מלוכה, ולפחות רובם משבט יהודה! ואיך יפלא אדוננו אם ימצא משפחה מיוחסת לדוד?"[2]

"وهذا ما يجعل جميع اليهود الموجودين في مملكتك هم من نسل الملوك، وعلى الأقل معظمهم من سبط يهودا! فكيف يتعجب سيدنا متى وجد أسرة تنسب إلى داود؟"

فهو يبرر النزعة العنصرية الإستعلائية ليهود إسبانيا، بأنهم من نسل داود، ومن نسل الملوك.

2_ادّعاء نقاء العرق اليهودي:

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' כ.

[2] שם, שם.

وهي أيضا من الإدعاءات اليهودية العنصرية، والتي تعتمد –حسب المزاعم اليهودية– على عدم اختلاط اليهود بغيرهم من الأمم والشعوب؛ وقد كان ذلك عاملا حاسما في الحفاظ على نقائهم العرقي؛ وذلك حسبما يذكر ابن فرجا.

فحينما يتعجب الملك ألفونسو من معرفة توماس الجيدة بتاريخ اليهود، نجده يقول له: لولا معرفتي بك وبأسرتك لقلت إنك يهودي. فيرد عليه توماس قائلا: "لقد أخزيتني خزيا لا خزي بعده أبدا!". فيرد الملك المتعاطف مع اليهود: أنه لا خزي أبدا في ذلك، بل إن ذلك مدعاة للفخر والاعتزاز؛ فليس هناك أمة على وجه الأرض، تستطيع أن تسرد أنسابها، ونقاء عنصرها، مثل هؤلاء اليهود (المساكين)؛ حيث يقول له:

"ונודע לעולם, כי אין בכל העמים מי שיוכל להגיד התחלתו וגזעו ושרשו הטהור כמו היהודים העניים האלה" [1]. "وقد علم الجميع أنه ليس هناك شعب من الشعوب يستطيع أن يخبر بدايته وعنصره وأصله النقي مثل هؤلاء اليهود الفقراء"

وقد ساعدهم على ذلك، عدم اختلاطهم واندماجهم بالأمم التي عاشوا بين ظهرانيها؛ حيث يقول ابن فرجا:

"ואילו אלו העניים היהודים עמד שרשם בם. ומה שאמר הנביא הגדול בלעם (במדבר כ"ג ט'): "ובגוים לא יתחשב" וחשבנוהו לבזיון, הלא הוא לכבוד, כי לפי שלא נתערבו עם הגוים נודע שרשם וגזעם, כמו שאמר (במדבר כ"ג י'): "מי מנה עפר יעקב" [2]

"وأما هؤلاء الفقراء اليهود فلهم أصلهم. وما قاله النبي الكبير بلعام (العدد 23 / 9): "وبين الشعوب لا يحسب" واعتقدنا أنه احتقار، أليس هو الفخار، وذلك لأن عدم اختلاطهم بالشعوب (بالأمم) كان سبب معرفة أصلهم وجنسهم، مثلما قال (العدد 23 / 10): "من أحصى تراب يعقوب؟".0

---

[1] אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, עמ' כ.

[2] שם, עמ' כא.

الخاتمة:

تظهر دراسة أوضاع اليهود الاجتماعية من خلال "השמד השבעי" "الاضطهاد السابع" من كتاب "שבט יהודה" "صولجان يهودا" لشلومو بن فرجا مجموعة من النتائج المهمة؛ أبرزها:

1_انحصرت "كراهية اليهود" "שנאת היהודים" في فئات عامة الشعب ورجال الدين، وذلك لأسباب كثيرة، كان أبرزها هو الإقراض بالربا؛ حيث استطاع اليهود من خلال الإقراض بالربا الإستحواذ على معظم أموال الشعب، وسلب أراضيهم؛ وهو الأمر الذي أثار غضب الشعب وسخطه الشديد. وترسخت في أذهان الشعب، صورة اليهودي، بوصفه المستفيد الأول والأوحد من بؤس الشعب.

ثانيا: استطاع "المتنصرون" أو "المسيحيون الجدد" الإرتقاء إلى المناصب الرفيعة في إسبانيا المسيحية، حيث سمح لهم تحولهم عن اليهودية، ممارسة بعض الأعمال، والوظائف، التي كانت قد حُظرت على اليهود؛ ويظهر هذا جليا في مكانة "توماس" الرفيعة، ومنزلته العالية في بلاط الملك ألفونسو.

ثالثا: ربطت اليهود علاقة خاصة بالملوك والنبلاء الكاثوليك، في إسبانيا المسيحية؛ تمثّلت في كون اليهود "عبيد للملك" "עבדי המלך" أو "עבדי האוצר" "عبيد الخزانة الملكية"، وقد استفاد اليهود من خلال هذا الوضع، وتمتعوا بحماية الملوك الكاثوليك، واعتمدوا على السطلة الملكية، في صد هجمات عامة الشعب، ورجال الدين.

رابعا: رغبة الملوك الكاثوليك في أن يعيش اليهود في أمان وسلام، نظير ما يقدّمونه من خدمات للملوك، خصوصا الخدمات المالية والإقتصادية، ويظهر هذا بشكل واضح في موقف الملك ألفونسو من اليهود، ورغبته في أن يعيش اليهود في مملكته، في أمان واطمئنان.

خامسًا: لجأ عامة الشعب ورجال الدين في إسبانيا المسيحية، إلى تلفيق التهم لليهود، خاصة "עלילת הדם" "تهمة الدم"؛ بهدف التخلص من اليهود، إما بطردهم من المملكة، وإما بالقضاء المبرم عليهم.

سادسا: كانت "كراهية اليهود" نابعة، أولا وقبل كل شيء، من طبيعة الشخصية اليهودية ذاتها، والتي تميّزت في الغالب الأعم –حسب ابن فرجا– بحب السلطة والسيادة، وبحب التفاخر والتعالى، وإظهار اليهودي في هيئة الذكي الماهر، الذي يحسن تدبير أمور نفسه، وكذلك التكبر على عامة الشعب؛ وهو ما جعل العامة يبغضونهم، ويكرهونهم، ويسعون للتخلص منهم، والقضاء عليهم.

سابعا: تميّزت الشخصية اليهودية، في إسبانيا المسيحية، بالروح العنصرية، من خلال الادعاء بأنهم من نسل الملوك، ونقاء العرق اليهودي؛ وهو الأمر الذي لا يمكن أن يحتفظ به أي شعب غيرهم؛ وقد أدى كل ذلك أيضا إلى مزيد من كراهية اليهود في إسبانيا، وهو ما أدى في النهاية إلى طردهم من هناك تماما سنة 1492م.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

(أ) الكتب:

- أحمد بن عبد الله الزغيبي، العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1418 هـ / 1998م.
- أميركو كاسترو، إسبانيا في تاريخها المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2002م.
- جوزيف بيريز، التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا، ترجمة: مصطفى أمادي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي، 2012م.
- حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، 1985م.
- سيد فرج راشد، دراسات في الصهيونية وجذورها، دار المريخ، الرياض، 1991م.
- عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، منشورات فلسطين المحتلة، الطبعة الثانية، المجلد الثاني، د.ت.
- مصطفى كمال عبد العليم و سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، 1995م.
- هدى درويش، المارانوس (اليهود المتنصرون) بين اليهودية والمسيحية، القاهرة، 2007م.

(ب) الموسوعات ودوائر المعارف:

- بطرس عبد الملك وآخرين، قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، مصر، الطبعة الحادية عشر، 1997م.
- رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2002.
- سامي الإمام، الفكر العقدي اليهودي "موسوعة الجيب"، مطبعة الرحمة، 2010م.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 2، دار الشروق، د.ت.
- وليم وهبه بباوي وآخرين، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، ط 2، جـ 8، 2005.

المصادر والمراجع العبرية:

א. תנ"ך (תורה, נביאים, כתובים)

ב.ספרים:

- אבן וירגה, שלמה: ספר שבט יהודה, הוצאת האחים לוין–אפשטין ושות' בע"ט, ירושלים, תשט"ו.
- איגוס, אברהם יצחק: דברי ימי ישראל, ההסתדרות הציונית העולמית, המחלקה לחנוך, חלק שני, ירושלים, תשכ"ז.
- אלחריזי, יהודה: ספר תחכמוני, נערל על פי כת"י ומהדורות שונות עם מבוא גדול והערות ע"י אהרון קאמינקא, הוצאת אחיאסף, 1899.
- בער, יצחק: תולדות היהודים בספרד הנוצרית, הוצאת עם עובד, הדפסה שלישית, 1986.
- בער, פ. י.: הערות חדשות לס' שבט יהודה, תרביץ, כרך ו, תרצ"ה.
- גרץ, צבי: דברי ימי ישראל, תרגום א. בן–אורי, בעריכת פ. לחובר, כרך חמישי, הוצאת יזרעאל, תל–אביב, מהדורה מיוחדת לקוראי מעריב, תשט"ו.
- דן, יוסף: הסיפור העברי בימי הביניים עיונים בתולדותיו, בית הוצאה כתר ירושלים בע"מ, 1974.
- כהן, גרמי: טורטוסה במבט לאחור: תיאור הוויכוח בספר "שבט יהודה" לר' שלמה אבן וירגה, החברה ההיסטורית הישראלית, חוברת ד, 2011.
- קלוזנר, יהודה אריה: הנובילה בספרות העברית מראשיתה עד סוף תקופת–ההשכלה, הוצאת יהושע צ'צ'יק, תל–אביב.
- שירמן, חיים: השירה העברית בספרד הנוצרית ובדרום צרפת (עריכת עזרא פליישר), ירושלים, 1997, עמ' 153 _ 168.

ב. אנציקלופדיות:

- ייבין, שמואל ערך "רחבעם בן שלמה": האינצקלופדיה המקראית, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים, 1976.
- ליסק, משה, ערך "עלילת הדם": האנציקלופדיה העברית, כללית יהודית וארצישראלית, כרך עשרים וששה, חברה להוצאת אנציקלופדיות בע"מ, ירושלים, תשל"ד
- מרגליות, מרדכי (עורך כללי), "שלמה אבן וירגה", אנציקלופדיה לתולדות גדולי ישראל, תל אביב: י' צ'צ'יק, תש"ו.